روايات مصرية للجيب

ميتافيزيقا (١)

بائع رويايكيا

(وقصة أخرى)

فريق متميزون
E-BOOK

أحمد فكرى

مكتبة فريق (متميزون)

لتحويل الكتب النادرة الى صيغة نصية

قام بالتحويل لسلسلة (ميتافيزيقا)

كلمه مهمة: هذا العمل (تحويل سلسلة ميتافيزيقا للكاتب أحمد فكري الي صيغة نصية) هو بمثابة خدمة حصرية للمكفوفين، من منطلق حرص الجميع على تقديم ما أمكن من دعم للإنسان الكفيف، الذي يحتاج أكثر من غيره للدعم الاجتماعي والعلمي والتقني بحيث تعينه خدماتنا هذه على ممارسة حياته باستقلالية وراحة، وتعزز لديه الثقة بالنفس والاندماج بالمجتمع بشكل طبيعي.

وبسبب شح الخدمات المتوفرة للمكفوفين حرصنا على توفير خدمات نوعية تساعد الكفيف في المجالات التعليمية العلمية والثقافية وذلك بتسخير ما يتوفر من تقنيات خاصة لتحويل الكتب الي نصوص تكون بين أيديهم بشكل مجاني، ويمكن لبرامج القراءة الخاصة بالمكفوفين قراءتها.

مع تحيات: فريق (متميزون) انضم الى الجروب

انضم الى القناة

سلسلة ميتافيزيقا
العدد رقم (01)

بائع روبابكيا

وقصص أخرى

تأليف: أحمد فكري

ميتافيزيقا..

مصطلح يعنى الأشياء التي لا تخضع لقوانين الطبيعة، أو يمكن التعبير عنها مجازيًا، بأنها الأشياء التي تتجاوز حدود الطبيعة أو ما وراء الطبيعة.. وقد أتت الكلمة من الكلمتين اليونانيتين (μετά) ومعناها (ميتا: ما وراء أو بعد) و(φυσικά) وتعنى (فيزكا: مادي أو طبيعي).

أحمد فكري

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

البداية..

أنت تعلم مظهر باعة الروبابكيا جيدًا.. لذا لا داعي لوصف صـفوت الدكش ها هنا.

مجرد حمار!!

لا.. ليس صفوت طبعًا وإنما ما يقوده..

فهي عربة مقيد بها من الأمام حمار بائس.. يلسعه صفوت من حين لآخر لسعة بالعصا كي يتذكر أنه حمار وأنه من الواجب عليه أنه يضرب.. كي يسير فى طريقه.

وبالفعل يسير الحمار.. متمنيًا لو أن ذلك الدكش كان مقيدًا بدلاً منه.

يصرخ (الدكش)..

قائلاً بضع كلمات لن تتبين منها سوى كلمة (بكيا)، التي تدل على أنه بائع روبابكيا.

فى هذه الاثناء تجدني أنا وقد خرجت إلى الشرفة، وبدوري أخذت أهلل كي يسمعني الرجل.

أن دققت النظر فىَّ أكثر لوجدت أنني أصلع.. بدين قليلاً..

من أنا؟

أعرفكم بنفسي..

أنا إبراهيم محمد فتحي.. محام، لكن لا أمارس المهنة.. أرمل، فقد ماتت زوجتي وابنتي فى حادث منذ زمن.. مقطوع من شجرة كما يقولون، ورثت ما أنا فيه عن أبى، وأبى عن أبيه، الذي هو جدي، فقد كان جدي قاضيًا مشهورًا.

أهوى جمع التحف، والأشياء القديمة التي أشعر أنها ذات قيمة..

لذا تراني بعد لحظات أقف مع الدكش وأقلب فى صندوق معدني يبدو عليه القدم، لكنه محكم الإغلاق!

فعلى بابه يتدلى قفل كبير عتيق...

أمسكه أنا.. واجذبه يمينًا ثم يسارًا حتى يستجيب ليعلن لى أنه هاوٍ، لكنه يأبى تمامًا..

عندها ترى الدكش ينظر إلىَّ متشككًا ومتأهبًا.. كي يلسعني لسعة من اللسعات إياها، معتقدًا أنني لن أبتاع منه شيئًا.. وأنني مجرد زبون سمج.. سوف يقلب فى الأشياء كلها، ويبعثرها، وبعدها ينصرف تاركًا إياه وقد استشاط غضبه..

تلافيت أنا كل هذا، ونظرت له فى تودد ثم سألته قائلاً: - بكم هذا؟

- ألف جنيه..

قالها وهو يلتقطه منى ويضعه على العربة.. ثم يضيف: - حتة واحدة.. ستأخذه أم لا؟..

- ألف جنيه.. ألا ترى أنه مبلغ مبالغ فيه قليلاً؟..

قلتها فى حذر بالغ.. وقدماي تتراجع للوراء..

فأجابني:

- لو وجدت به مالاً فهو لك، لو وجد به قتيلاً فهو لك.

«حقًّا أن ما قاله قد أثار فضولي وشغفي».

أشرت له بيدي تجاه شقتي، وأنا أضيف: - خمس دقائق لا أكثر كي أحضر لك ما تريد

- حسنًا وأنا أنتظرك.. لكن لا تتأخر.

قالها وكنت أصعد أنا الدرج.

أحضرت له المبلغ وناولته إياه، وناولني بدوره الصندوق.. بعد أن لثم النقود مرات عدة.

- بارك الله لك فيه.

- شكرًا..

قالها ورددت عليه وانصرف مبتعدًا، تاركًا إياى ممسكًا بالصندوق مبلل الأفكار.

«بكياا.....»

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

صعدت به، ووضعته على أقرب مقعد خشبي، وهرولت إلى الداخل، كي احضر أي شيء يصلح لفتحه، وعدت إليه....

«طاااخ.. دب.. دب.. بوم.. بوم.. دشششششش.. طرااااخ..»

وأخذ يتلقى منى عدة طرقات.. يمينًا ثم يسارًا ثم يمينًا.. ولم يستغرق الأمر أكثر من ذلك كي يفرغ الصندوق فاهه، ويتحطم قفله العتيق الصدئ.. ويعلن لى عما بداخله.

.....

مرت ثوان.. ربما دقائق، وأنا أتخيل منظر صفوت الدكش، وهو يلهو بنقودي، ويبتسم فى خبث، وفخر على أكبر مغفل قابله فى حياته.

بالطبع أنت تريد أن تعرف ما حواه الصندوق؟؟

ولك كل الحق، لكن أرجوك تقبل ما ستعرفه بصدر رحب كما تقبلته أنا.

حسنًا.. اتفقنا.

اتفقنا..

إنه كتاب!!

نعم.. كتاب قديم لكنه ليس مهترئًا.. تناولته ورحت أقلبه بين يدي..

فتحته ثم أغلقته.. قرأت المكتوب على الغلاف بخط مذهب...

«كان»!!..

هذا عنوان الكتاب.. «كان»! لم أدر ما أفعل به حقًّا؟

بالطبع لم، ولن أتخلص منه فى أقرب صندوق للقمامة.. إن كنت تظن ذلك..

فثمنه ألف جنيه!

هل تصدق ذلك؟!

كتاب ثمنه.. ألف جنيه!

من المغفل الذي سيشترى كتاب بذلك السعر!

«كتاب نحو».. بألف جنيه!!

لا يوجد، بكل تأكيد.. لا يوجد سوى واحد فقط.. واحد فحسب..

ويؤسفني أنه.. أنا..

حينئذ.. تذكرت فيلم كراكون فى الشارع، وجملة الفنان عادل إمام..

(أغلى كيس بلح فى العالم).

لن أخبرك أنني قطعت الشقة جيئة وذهابًا وأنا أرمق الكتاب ومعه خيبتي..

فأنا أدلف إلى الحمام أرمقه.. أخرج منه أرمقه.

كان!

نحو!

لغة عربية!

وأنا أمقت اللغة العربية وبالتحديد النحو..

حتى ولو كان فى أية مادة أخرى، لربما..... كان!!

أعددت لنفسي فنجانًا من القهوة وجلست أفكر...

عندها تذكرت صديقي اللدود سعيد..

مدرس اللغة العربية فى مدرسة «.....».. مممم.. لا أذكر، لكنه مدرس وربما قال شيئًا عن الكتاب أثلج به صدري.. ربما أفادني.. وأراح قلبي، وقال لى إنه قيم وثمين أو ربما نادر..

أعلم أن ذلك لن يحدث، لكنها القشة..

فقررت الذهاب إليه..

بالطبع لن أخبرك أنني حلمت بالدكش وهو يخرج لسانه لى.. ومن ثم يتحول إلى ذئب، ويلتهم نقودي.. يركض خلفي و.....

لن أخبرك بهذا إن كنت تعتقد ذلك..

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

زيــارة..

على باب شقة سعيد أقف.. أدق الجرس عدة مرات..

لكن لا رد!

مرة أخرى لكن لا رد!

مرة أخرى... وقبل أن أكمل دق الجرس تناهى إلى مسامعي صوت سعيد وهو يصرخ قائلاً: - انتظر قليلاً.. سوف أخرج لك يا ابن ال- «.....».

مؤدب هو سعيد.. بالفعل مدرس لغة عربية..

هو يحسب أن كل من يتعامل معه تلميذ من تلاميذه.

انفتح الباب وطل منه وجه سعيد.. وهو يرتدى فانلة داخلية وبنطالاً خاصًّا بمنامة زرقاء..

رحب بي فى حرارة.. عندما علم أنه أنا.. ولثمني عدة لثمات، ثم اقتادني إلى الداخل للصالون..

جاءت زوجته التي نسيت اسمها لترحب بي.. وتتناول من يدي الهدايا التي ابتعتها لهم، ثم تتوارى داخل غرفة ما دون مقدمات..!!

نظرت إليه، فوجدته يبتسم وهو يضيف فى بلاهة: - هههههه.. زوجتي أميمة..

ثم راح يحكي فى مرح عن تلك الأيام..

كيف؟ ومتى رآها؟ وكيف جذبت قلبه؟ و.....

لكنني قاطعته قائلاً:

- أود أن أعرض عليك أمرًا.

نظر لى فى خبث وتدلى لسانه خارج فمه.. قائلاً: - فتاة.. هل ستتزوج؟

نظرت له باشمئزاز.. وأضفت:

- بالطبع لا...

- إذًا ما الأمر؟

تناولت الكتاب من جانبي وناولته إياه.. تناوله من يدي وأخذ يقلبه بين راحتيه..

ثم نهض واتجه إلى غرفة مكتبه.. ليبدل عويناته بعوينات القراءة ويعود ليجلس إلى جانبي ثم يضيف: دعه معي بعض الوقت.. ولسوف أخبرك بقصته كاملة.. لكنني أريد أن أطلع أولاً على بعض المراجع وأمهات الكتب.

ترددت قليلاً، لكنني وافقت.. فهو لن يسرقه على كل حال.. ووجوده معي لن يفيدني سوى تذكر خيبتي وتذكر صفوت..

وأخيرًا جاءت زوجته.. أميمة، وهي ممسكة بيد فتاة صغيرة، على ما يبدو أنها ابنته..

أخذت تنظر لى فى شغف.. وفضول واضحين..

- سلمى على عمو يا هدير..

قالتها أمها.. التي كادت أن تقبل قدميها كي تسلم على عمو.. الذي هو أنا.. لكنها أبت ذلك.

وقبل أن تضيف شيئًا قاطعها سعيد قائلاً: - إبراهيم صديقي اللدود لقد حدثتك عنه كثيرًا..

- نعم.. لقد أخبرني عنك الكثير.

وجهتها إلىَّ، فأضفت أنا:

- خيرًا أم؟ ...

- خيرًا طبعًا.. ثم أخذت تقول عبارات مثل.. «نورتنا.. يا مرحب..» وهكذا..

بعد أن نهضت، وتوارت بالداخل..

نظرت إلى سعيد ثم إلى ابنته.. وأضفت: ليست تشبهك..

نعم.. نعم.. كثيرون هم من قالوا لى ذلك..

قالها ثم أضاف:

هذا عمو إبراهيم..

هل دخلت المدرسة؟

ليس بعد..

ثم أتت زوجته، وهي تضيف:

- تفضلوا الشاي..

قالتها وهي تضع أمامنا صينية وضع عليها كوبان من الشاي الساخن.

احتسيت الشاي وأخذنا نثرثر فى أشياء لا فائدة منها وانصرفت.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

فى المنزل..

أعددت لنفسي قدحًا من القهوة وجلست لأشاهد مسلسلاً ما..

كنت أتابعه على فترات متقطعة حتى أصبحت تائهًا داخله.. فلم أعد أعلم من تزوج من؟ ومن وجد من؟

ومن ذلك الرجل الذي ظهر؟.. وهو لم يكن موجودًا!

ثم يتضح لى.. أنه ابن فلان، وقد تقدم فى العمر.. و ...

وتررررن.. تررررن..

عندها دق جرس الهاتف..

فنظرت إلى ساعتي لأجدها الثانية عشر والنصف.. بعد منتصف الليل.. نهضت متثاقلاً كالروبوت.. واتجهت إلى السماعة والتقطها ومن ثم أضفت: - ألووو..

فى البداية لم أتلق أية إجابة.. فقط تناهى إلى مسامعي صوت هامس.. فعلمت أنه سعيد فدار بيننا ذلك الحوار: - ألـو..

- من معي؟..

- أنا يا إبراهيم.. سعيد.

- هاااه.. ماذا وجدت؟

- مجرد كتاب نحو.. على ما يبدو، لكنه من أمهات الكتب..

- ماذا؟

- هذا ما وجدت.. لقد بحثت فى مكتبتي أو اااا..، لنقل إن هذا ما توصلت له..

- الحمد لله.. يعنى فلوسي ضاعت.. ألف جنيه علشان كتاب نحو.

- لكنه يتحدث عن الأفعال الناسخة.

- الحمد لله.. يعنى فلوسي لم تذهب هباءً ما دام يتحدث عن الأفعال الناسخة..

شكرًا يا سعيد.. شكرًا..

- غدًا سوف أمر عليك وأعيدك إياه..

- شكرًا..... خذه هدية.

- أنا لا أريد أن أحرمك من تصفحه.. تصفحه أنت أولاً، ثم آخذه أنا.. أو أتصفحه ثم أعيده إليك.

- افعل ما تشاء فأنا أريد أن أنام..

- حسنًا.. حسنًا..

- سلام..

- سلام..

وهكذا وضعت السماعة وأغلقت التلفاز ودخلت إلى الفراش وغبت فى سبات نوم عميق..

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

وأخذ يفكر..

وضع سعيد سماعة الهاتف، وأخذ يفكر.. ويستعيد كل خبراته المهنية.

ثم طلب من زوجته أميمة أن تعـد له فنجانًا من القهـوة الساخنة، وتحضره له فى غرفة المكتب حيث هو.

سعيد.. يحب عمله بشـدة ويجيده حقًّا، لهذا لم ييأس أو يكتفى بما وجد.. لكنه على قدر علمي لا يملك الذكاء مبهرًا.

أخذ الكتاب ودلف إلى مكتبه ووضعه أمامه وأخذ يقلبه يمينًا ويسارًا، وهو يحدث نفسه، ومداعبًا ذقنه.. وممنيًا نفسه أيضًا..

«لا بد من وجود سر ما».. لا بد.

كيف يضع أحد شيئًا كهذا فى صندوق ويحكم إغلاقه؟!

بل لماذا يحكم إغلاقه؟!

هل يخشى سرقته؟ مثلاً..

هل هو قيم إلى هذا الحد؟..

هل يخشاه هو ذاته.. أم.. ماذا؟

«كثير من الأسئلة تحتشد فى رأسه بلا إجابة واحدة»

- «من هذا الذي يخشاه»؟

قالتها.. أميمة زوجته، وقد دلفت إلى مكتبه وعلى يدها صينية، وضع عليها قدحه الساخن.

فأجفل... وأضاف:

- هل كنت أفكر بصوت عال؟

- نعم وإلا.. ما سألتك.

- (هه) ما الذي يخشاه (هه)؟

عاودت سؤالها مرة أخرى وهي تزيح بعض الكتب جانبًا.. كي تفسح مكانًا للصينية.

- لا.. لا شيء..

قالها وتذكر أنه يحتاج إلى شريك.. شريك ليساعده فى حل اللغز..

وربما.. صدق المثل الذي يقول.. «يوضع سره فى أضعف خلقه»..

لذا قرر أن يقص عليها ما حدث تفصيلاً.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

وهكذا راح يحكي وأخذت تنصت.. وتتثاءب..

- همم..اه.. همم..اه.. ثم؟

- ثم لا شيء.. لذا قررت أن أشركك معي، فربما كان لديك حلٌّ.

تثاءبت للمرة العاشرة، ثم نهضت وهي تقول فى لا مبالاة.. متجهة إلى الخارج: - مجرد مخبولان..

- من؟

- صديقك هذا الذي ابتاع الصندوق بذلك المبلغ.. والرجل الذي وضع الكتاب فيه، وأغلقه.

- «عندها كل الحق».. هكذا قال فى قرارة نفسه... أراد أن يضيف: - لكن..

- لا يوجد لكن.

قالتها وهي تدلف إلى خارج الغرفة.. ثم تراجعت وكأنها تذكرت شيئًا.. وأطلت برأسها وهي تهمس: - ربما كان الأمر كله مقلبًا من بائع الروبابكيا،.. كي يزيد من غموض الأمر، ومن ثم يزيد من سعر الصندوق.

قالتها ثم انصرفت تمامًا.. وقد تركته مبعثر الأفكار، يحدث نفسه: - «ربما تكون حلت له الأمر كله»..

«ربما وفرت عليه عناء التفكير»، لكن حدسه يقول إن الأمر ليس كذلك.. بل.. ليس بهذه السهولة.

«أووه..»..

تثاءب فوضع يده على فيه وأراد أن يكمل..

«أووه..»

مـره أخـرى يتثاءب، فنهض فاردًا ذراعيـه إلى الأمـام وأطفـأ الأباجورة..

وترك كل شيء كما هـو واتجـه إلى الفراش... مقررًا أن غدًا ليوم آخـر.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

(من امتلك الكتاب فعل النسخ فى المعجم) ∞ ∞ ∞ ∞ ∞

فـرج الفتـوة..

«تررن.. تررن» ... جرس الفسحة.

تجد المدرسة قد تحولت إلى إسطبل، ولن ترى يدك من الغبار...

وكأن قنبلة كيميائية قد تم تفجيرها فى فناء المدرسة!

الشياطين.. أقصد الأطفال تنطلق يمينًا، يسارًا، تحت.. فوق.. فى كل مكان، وكأنهم مساجين وحانت لحظة الإفراج.

أخذ سعيد كشكول التحضير، ودلف إلى خارج الفصل.. بعد أن اصطدم بطفل ودهس آخر.. ليتجه إلى غرفة المعلمين.

يعد كوبًا من الشاي ومن ثم يجلس.. ليخـرج الكتاب من حقيبته ويتصفحه..

- ما عنوان ذلك الكتاب؟

يسأله الأستاذ بديع مدرس لغـة عربية هو الآخـر، الذي هو بديع فى سماجته، فلا يجيبه..

يتقدم إليه.. ويقف خلفه، ويختلس النظر..

- «كان»..... «من امتلك الكتاب فعل النسخ فى المعجم».. «لأول مرة تمر على هذه القاعدة»..

يقولها وينتظر الرد من سعيد.. الذي نظر له فى سماجة وأضاف: - نعم ولن تسمع..

- لماذا؟

- لأن...

وقبل أن ينطق بحرف آخر تذكر أنه لا يجب عليه أن يحكى.. ثم لو أراد فلن يكون لبديع..

فأمسك بالكتاب وأغلقه وأضاف:

- حصتي القادمة.

قالها وغادر الغرفة..

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

فى فصل من الفصول يجلس ويفتح الكتاب، يمر بين صفحاته.. فربما وجد شيئًا ما..

يرفعه إلى أعلى..

يرجه رجًّا.. حتى تسقط منه ورقة ما، لعلها تفسر شيئًا.. لكن لا شيء.

«حاله يذكرك بالبروفيسور (ليدن بروك) و(أكسيل).. الذي سوف يدخل عليه ليخبره بأنه اكتشف سر الكتاب»..

لكن هيهات فهذا (أكسيل).. أما هؤلاء التلاميذ فهم كومة من الغباء المعبأ بإحكام.. ويجلسون على مقعد لا يستحقونه.

يدلف إليه طالب يدعى شوقي..

يسلم عليه، ويجلس على مقعد بجانبه.. يرمق الكلمات الموجودة على الكتاب، وبصوت عال يقرأ: «كان من الأفعال الناسخة.. ويتوقف عن القراءة.. بعد أن ينظر إليه سعيد نظرة حانقة.. تدل على أنه يريده أن يخرس.

وبالطبع يصمت شوقي، ويبتسم فى بلاهة كاشفًا عن أسنانه التي التهمها السوس.

- نحن ندرس (كان) هذا العام.. يا أستاذ؟

قالها معربًا عن عبقريته الفذة.. وكأنه يقدم دليلاً على مذاكرته وتفوقه..

- «طيب يا حبيبي»..

قالها سعيد مسكتًا إياه..

لكنه أصر على إظهار نباهته.. فأضاف:

- «ما معنى فعل ناسخ»؟.. هه..

- معناه أن تخرس..

احمرت أذن الصغير، وصمت.. وأخذ يعبث فى حقيبته باحثًا عن الساندويتشات..

تاااااك دششششششششش.. ثم..... دشش طااخ... دبدب...

«يتناهى إلى مسمعهم صوت مشاجرة» ...

ينهض (سعيد) على صوت تلك المشاجرة التي نشبت بين بعض التلاميذ، ويترك الكتاب.

تطول رقبة شوقي، ويده ويمسك بالكتاب.. ولا بأس من ذلك القلم الجاف..

يقلب الصفحات..

تقع عينه على الصفحات الخالية.. هنالك جملة غير مكتملة..

ينظر إلى الخارج بعينيه.. إنه فرج.. فتوة التلامذة..

هذه ليست المرة الأولى..

يهرول وراءهم الأستاذ سعيد.. «يا ابن الـ.....»..

ويطلق بعض السباب.. والله لأرفدك منك ليه يا ولاد ال- «.....».

«إذًا المشاجرة لم تنفض بعـد».. يقولها شوقي فى نفسـه ويتذكر الكتاب..

آه الجملة.. «كان.....»

لا بد أن يكملها يمسك القلم.. تتقدم يداه، لا بأس من نظرة أخرى.. قبل أن يخط القلم.

«كان.... فرج.....»!

هنا يدلف سعيد إلى داخل الفصل ويراه!!

يفر الدم من وجه شوقي، ويسـقط من يده القلم، لقد علم أن هنالك عقابًا لا بأس به قادم.. سوف يتلقى عدة صفعات على خديه وقفاه جراء ما ارتكبه من جرم، لكن قبل أن يحدث هـذا.. يتناهى إلى مسامع سعيد صوت صراخ!

التلاميذ كلها تصرخ!!

يدلف إلى الخارج مرة أخرى..

عندها.. يرى الجُل مجتمعًا حول «الترابزين».. الخاص بالسلم!!

ومن ثم ينظرون إلى أسفل.. والبعض الآخر من المدرسين يبدو عليه الذهول.. والبعض يهرع إلى أسفل...

يتقدم هو الآخر ويقف بجانب بديع المدرس إياه، وينظر إلى أسفل..

لم يصدق عينيه.... لم يصدق ما رآه!

لقد كانت جثة فرج.. التلميذ.. ممددة على الأرض بلا حراك والدم يتدفق منها بغزارة!!

فرج، الذي كان منذ دقائق يفتعل المشاجرة.

- كيف حدث هذا؟

- لا أعلم.. فجأة رأيته يستند بيده على «الترابزين».. ويثب ليقف عليه، ومن ثم يقفز لأسفل.. دون مقدمات!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

ليـلة عجـن..

يمسك سعيد بذقنه ثم يحكها مرتين ويقول وهو يقف على باب عمارته: لا أدرى يا إبراهيم.. لقد حاولت.. بحثت.. لكن لا شيء.

قالها وهو يناولني الكتاب.. ثم أضاف وهو يأخذه منى ثانية: - «ربما لو تركته معي بعض الوقت لاتضح الأمر لى»..

بالطبع وافقت.. لأنه بكل تأكيد لن يطمع فى سرقته.

آمل أن يكون له قيمة.. «وألا تكون نقودي قد ضاعت هباءً منثورًا»..

قلتها وأنا أعلم أن عملية النصب قد تمت فى بنجاح ساحق، لا مثيل له، وبالطبع تمنيت أن أرى ذلك الدكش.

- أستاذ سعيد..

- من؟

قالها شخص ما ورد سعيد عليه بهـذه الأخيرة.. فنظرت خلفي أنا وسعيد كي نرى صاحب الكلمات..

وجدته شخصًا ضئيل الحجم.. خط له شخص خطًّا دقيقًا بالقلم وسماه هو «شنب»..

تقدم إلينا.. ثم صافح (سعيد) فى حرارة بالغة..

تبين لى بعد ذلك أنه زيزو.. زيزو القهوجي.. الذي يجلس سعيد عنده..

«الكثير من القبـلات والعزومات على غـرار..» «هاستناك».. ثم تبين لى أن هناك فرحًا، وتبين لى أيضًا أنه خاص بأخي ذلك الزيزو.

ثم تبين لى أن (سعيد) سـوف يذهب.. ثم تبين لى أنني أنا الآخـر سوف..

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

«أنا بقيت عامل دماغ»

«تمام.. تمام... ودخان»

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

وهكذا تجدني و(سعيد).. جالسين على مقعدين من الخشب ونحضر فرح أخي زيزو القهوجي..

وبدأت الأغاني تنهال على مسامعي!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

«مبقاش فيه بليلة»

«تمام... تمام... نشربو دخان»

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

يا له من ذوق رفيع حقًّا!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

وبدأ زيزو، الذي ظهر من مكان ما.. فى توزيع لفافات تبغ.. تبين لى بعد ذلك أنها ممنوعات.. «حشيش وغيره الذي لا أعلم كنهه»!!

«هذا الرجل ينتوي أن يبيت الجميع فى الحجز بكل تأكيد».

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

«تيت... تيت...اااه...»

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

لم يمر سوى القليل.. وبدأ الرقص!

الكل يحاول..

فلا يخرج منه سوى شيء واحد لا يسمى سوى «عجن»!

الكل «يعجن».. ثم «يعك».. ثم «يعجن».. ثم تخرج من مكان ما «مدية»!!

لا بد وأن هنالك مشاجرة على وشك البدء... كدت أن أنهض كي أمنع تفاقمها..

لولا أن منعني سعيد وأمسكني من كتفى قائلاً:.

- «إنها ليست» خناقة «.. هذه هى العادات ها هنا..»

ً

- «غريبة هى العادات هنا حقًّا»!

قلتها واسترحت على المقعد، نظرت فى ساعتي لأجد الوقت لا يمر...

تناولت الكتاب من يدي سعيد.. لأتصفحه فى ملل، ربما يقتل القليل من الوقت....

«كان».... «إنها من الأفعال الناسخة الـ.....» ...

ممل..

أمُر بين صفحاته.. فأجد أن هنالك جملة قد تكررت مرارًا، لا أعي منها حرفًا واحدًا..

«من امتلك الكتاب فعل النسخ فى المعجم»!!

وهناك أيضًا صفحات فارغة.. كل ما فيها هو بعض الجمل التي تحتاج إلى تكملة..

«كان.....» ثم نقاط بجانبها...

أخرجت من جيوب سترتى قلمًا، وراقت لى الفكرة.. سوف ألعب هذه اللعبة..

كأنني ألعب الكلمات المتقاطعة..

أمسكت بالقلم، وفكرت فى الكتابة.. «مم... مم» ...

وأخذت أخط بالقلم...

«كان... الفرح.....»

وقبل أن أكمل...

(نن نننننننننن)!!!!!!!!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

انطفأت الأنوار وتوقف المولد الكهربي تمامًا!!، وصمت «الدى جى» وتعالت الأصوات وصارت الدنيا... «كحل»! فأغلقت الكتاب..

- «لقد انقطع التيار الكهربي»..

قالها شخص ما.. لا نراه.. فرد عليه شخص آخر لا نراه أيضًا.

- «سوف أتصل كي أحضر مولد كهرباء آخر ربما العيب منه»..

- لا لا إنه من العمومي، لقد انقطع عن الجميع لا بد أنه.....

وبالطبع.. لم أنتظر أنا حتى يولدوا الكهرباء وأحضر سبوعها..

فقررت الانصراف وسعيد معي طبعًا.. فلن يرانا أحد أو يراه إن صدقت القول..

«فليس هنالك فرصة لننصرف فيها أفضل من تلك»..

نهضنا سويًّا.. وفى سلاسة.. رحنا ننسل من بين الجمع الواقف...

نصطدم بهذا ثم ذاك ثم انصرفنا والحمد لله.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

على باب العمارة التي يقطن بها سعيد تركته، وانطلقت بسيارتي إلى منزلي.

دلف سعيد إلى شقته وجلس على مكتبه.. وأمسك بالكتاب.

- هل عدت؟

قالتها زوجته.. وهي تحك رأسها، وتنظر إلى الساعة لتجدها الواحدة صباحًا.

فأجابها، وهو يتثاءب:

- أووو.. منذ دقائق.. عذرًا حبيبتي لقد جعلتك تنهضين..

- لا عليك... لم أنم بعد!

- واضح!!

- هل تريد شيئًا؟

- شكرًا... سوف أقرأ قليلاً... عودي أنت للنوم.

نظرت إلى الكتاب الذي بين يديه وأضافت: - «يا دى الكتاب اللي هيهوسك»..

ثم تقدمت قليلاً لتمسكه من يديه.. وتقرأ فيه بصوت مرتفع: - «ترفع المبتدأ وتنصب الخبر»..

لقد قرأت ذلك منذ سنين فى منهج اللغة العربية، لكنني لم أفقه منه شيئًا.. فأنا منذ زمن وأنا أبغض ذلك النحو... واللغة العربية كلها.

- وزوجك مدرس لغة عربية... ما شاء الله!

نظرت له ثم قالت:

- وماذا فى ذلك؟!

- لا شيء.. لا عليك يا حبيبتي... عودي أنت إلى النوم فحسب.

فررت الكتاب سريعًا.. فلمحت تلك الصفحات الفارغة تمامًا إلا من كلمة.. «كان.....»

ثم نقاط بعدها.

لا تعلم ما الذي جعلها تمسك بالقلم، وتخط بجانبها كلمة.. «التلفاز»؟!

- «ما الذي تفعلينه؟»

- «أكمل الفراغات» ... هههه...

قالتها.. وابتسمت ابتسامة بلهاء، وألقت بالكتاب على المكتب.. ودلفت إلى الفراش.

ولو أنه التقط المزهرية وقذفها بها.. من فرط سماجتها، لكنه أمسك بأعصابه ولم يفعل.

أمسك بالكتاب مرة أخرى وفتحه.... وأخذ يقلب بين صفحاته...

«هنالك عبارة واحدة متكررة فى كل صفحاته تقريبًا»..

(من امتلك الكتاب فعّل النسخ فى المعجم) لا بد أنها ملحوظة ما.. وذلك لوجودها فى كل صفحة بالكتاب، لكن ما معنى ذلك؟

هولا يدري..

ما الذي تشير إليه؟

لا يدري... لا يدري حقًّا..

- «لم تنم بعد»؟

قالتها زوجته وهي تقف على باب الغرفة

نظر إليها فى أسى ثم أضاف:

- الآن..

«هو يعلم أنها لن تنام ما دام هو مستيقظًا»..

وهكذا أطفأ الأنوار ودلف معها إلى الفراش مؤجلاً كل شيء إلى يوم آخر.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

أميمة السيد جاد الله...

أميمـة..

محاسبة شابة، لكنها لم تحب العمل قط.. لذا لم تمارس المهنة أبدًا..

رقيقة هى!!

هكذا يقول زوجها سعيد

متى رآها أول مرة؟

فى المدرسة.. مع تلميذة تدعى ريهام حسبها ابنتها، لكنه علم أنها ابنة جارة لهم مريضة..

خفق قلبه حينها، وأشار بأوردته إلى سعيد أنها هى.. زوجة المستقبل.

ولم يمر سوى شهور، وذهب إلى والدها فى بيتها.. الذي علمه من ريهام الصغيرة.

لم يكن الأمر صعبًا على الإطلاق..

ذهب إلى الصغيرة فى فصلها.. ومن ثم بدأ فى استجوابها..

من هذه يا ريهام؟

مس أميمة..

ومن هى مس أميمة؟.. ومن ثم أين منزلكم؟....

وهكذا ذهب إلى المنزل دون صعوبة تذكر.

أما هى فقد رأته، ورأت نظرته الخجـول إليها، فقالت فى نفسها إنه هو.. صحيح أنه ليس وسيمًا، لكن لا بأس به كرجل..

وقالت إنه سوف يسلم.. نظرة ثم أخرى، وسوف يأتي إليها بكل تأكيد..

خصوصًا عندما أخبرتها ريهام بكل شيء دار بينها وبينه فى الفصل..

لم تفاجأ عندما دق الباب وفتحت لتجده.... كل ما فعلته أنها تظاهرت بالخجل، وهرعت إلى الداخل لتخبر والدها أن هنالك من ينتظره ويريده بالخارج...

ابتسمت هى فى ثقة عندما دلف إليها والدها وهو يقول: عريس..

لقد كانت تعلم... لقد تنبأت بهذا مسبقًا.

وهكذا جاءت اللحظة وأصبحا زوجين فى منزل واحد..

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

أما ما حدث معها..

فهو باختصار كما قصته لزوجها كالآتي..

عندما دلفت معه إلى غرفة النوم..

لم تستطع النوم!

لا تعلم لما؟....

ربما الأرق....

حاولت جاهدة، لكن دون جدوى..

نهضت جالسـة على الفراش، ونظرت إلى زوجها الذي تكـوم إلى جوارها.. ثم إلى ساعة الحائط..

لتجدها الثالثة صباحًا..

أدخلت قدميها فى خفها، ونهضت مترنحة ذاهبة إلى الحمام.....

مرت عبـر الصـالة.. «الضـوء خافـت».. مما يجعـل للأشياء ظلاً مرعبًا...

هنا توقفت!!

تراجعت خطوتين إلى الوراء... ونظرت مرة أخرى!!

عندها صدمت...

فلم يكن التلفاز فى موضعه على المنضدة!

لقد ذهب.... بشكل أدق.. اختفى!

بكل تأكيد.. فركت فى عينها مرة.. مرتين لتتأكد أنها لا تخدعاها فلم تجده.

حينها أفاقت تمامًا.

هرعت هنا ثم هناك بحثًا عنه، لكن لا شيء!

إذًا.. هنالك لصٌّ.

أسرعت إلى زوجها، الذي غط فى سبات نوم عميق..

أخذت تلكمه عدة لكمات فى جانبيه، ثم بطنه، ثم آآآيى

- ما هذا؟.. هل جننتي؟

قالها زوجها بعد أن استفاق وجلس متوجعًا..

نظر إليها ليجدها ترتعد....

فارتعد هو الآخر.. كأي خائف يحترم نفسه...

تردد فى سؤالها «ماذا هنالك؟»

هو لا يريد أن يعرف.... أي رجل فى مكانه عليه الشعور

بالفخر لأنه الرجل «فهي تحتاجه الآن»

«انهض»

قالتها بلهجتها الآمرة ثم أضافت:

(التلفاز.... حرامي)

ماذا؟

«هنالك حرامي بالبيت»

لم ينتظر أكثر ليثب من الفراش صارخًا

- «أين؟»

وهو يتناول مسدسه من الدرج ويسير بخطا مرتعدة..... يتقدم خطوة ويؤخر اثنين.... متجهًا للخارج متوقعًا الأسوأ!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

أضاء الأنوار وبدأ يرمق المكان كله بحذر...

كل شيء على ما يرام...

أراح يده قائلاً:.

أين؟ ... أنت تخرفين يا حبيبتي

لا.. أنا لا أخرف

رفع يده مرة أخرى ممسكًا بالمسدس قائلاً: أنا لا أحب هذا المزاح يا أميمة... إن كنت تمزحين...

بترت عبارته وهي تقسم له قائلة:

والله لا أمزح..

إذًا أين هو؟ هل رأيتيه؟

لا.... لم أره، لكنه سرق التلفاز.

أراح يديه مرة أخرى ونظـر تجاه التلفاز فلم يجده!!

نظر هنا وهناك، لكن لا شيء، دلف إلى جميع الغرف.. قتل الشقة بأكملها بحثًا عنه لكنه لم يجده!

ربما نعيد إصلاحه؟

هكذا قال مقنعًا نفسه بعد عناء البحث، فأجابته بتوتر قائلة: لم يكن به شيء

إذًا أين ذهب؟

تم سرقته... وأنت لا تصدقني.

كيف سيتم سرقته... هل هناك لصٌّ يفكر بمثل هذا الغباء!

يسرق التلفاز، ويترك النقود والأشياء الخفيفة الأخرى من مصوغات وغير ذلك... حرامي (غاو شقى).. ثم دعينا نفكر بالمنطق.. كيف سيسرقه، هل سوف يحمله على كتفه ثم يهبط به المواسير من رابع طابق، لأجل ماذا؟ حتى لو أراد بيعه فلن يدر عليه مالاً!!

قال سعيد ما قال ثم ابتسم وأردف:

إلا إذا كان والدك أراد أن يستعيد هديته..

قالها فغمزته بكتفها فابتسم مرة أخرى بعد أن توجع وأضاف: ثم إن لا هناك نافذة مفتوحة أو مكسورة ولا باب الشقة ذاته به خدش!

(لا بد أنك أعطيتيه لأحد ونسيتى)..

قالها ودلف إلى غرفة النوم ليكمل نومه... وتركها هى تأكل أظفارها بالكامل.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

السيد جاد الله...

أنت لا تعرف عم سيد أو السيد بلام التعريف كما يحلو له..

لذا سأصفه لك جيدًا.

مجرد عجوز باسم يتدلى كرشه أمامه (ثلاثة أمتار) ....، كأنه من قبيلة (.....) لا أذكر اسمها الآن.. التي يتم اختيار قائدها عن طريق كرشه!!

صاحب أضخم كرش هو من يفز بالرئاسة.

لو كان عم السيد منها لفاز باكتساح.. تناثر الشعر الأبيض على جانبي رأسه..

ونسى أن يكون متواجدًا فى الوسط فسار بلا شعر فى المنتصف!

لم يترك مرضًا إلا واتخذه صديقًا له...

يبدأ عمله فى العاشرة والنصف صباحًا، ويغلق فى العاشرة والنصف مساءً.. نعم يمتلك محال... أظنك قد خمنت ذلك...

اثنا عشر ساعة كاملة يقضيها وسط بضاعته.. التي هى شيء من كل شيء «تليفزيونات.... ثلاجات..... كاسيتات... إلخ» وغير ذلك.... فلديه من كل شيء قطعة واحدة.... ينتظر بيعها كي يأتي بأخرى مثلها ليبيعها وهكذا.

لا يوجد لديه مخزن فهو دائمًا ما يقول «أبيع أولاً بأول» ....

لديه بنت تدعى أميمة تزوجت منذ «.....» لا يدري متى تزوجت، لأن ذاكرته أصبحت واهنة فلم يعد يذكر شيئًا على الإطلاق، لكنها تزوجت فحسب هذا هو ما يهمه فى الموضوع كله...

تزوجت من شخص يدعى سعيد.. «ابن حلال» كما يقول عنه.. يستحقها..

يعمل مدرسًا تقريبًا لقد نسى هذه أيضًا، لكنه يذكر أنه أعطاهم شيئًا من محاله كهدية فى زواجهم...

على هذا يظل عم السيد فى متجره وحيدًا لا تعرف فيما يفكر ولا أية ذكريات يسترجعها، يجلس واضعًا تلك البطانية العتيقة على كتفيه كي تقيه من البرد..

ويستمع إلى المذياع المتهالك، لكنه يعتز به كثيرًا لأنه هدية من زوجته التي رحلت إلى بارئها وتركته لهذه الدنيا وحيدًا.. خاصة بعد زواج ابنته..

موقد الكيروسين بجانبه يبعث الدفيء والطمأنينة إليه...

ينهض ليصلى العشاء فى متجره ثم يخرج ليطمئن على البضاعة التي يضعها بالخارج.. هذه هى الثلاجة.... كاسيت... نعم وهذه المروحة»

أين التلفاز؟!

آه.. لقد باع إياه لشخص ما، لقد نسى، لكنه تذكر على كل حال...

يطمئن على البضاعة، ومن ثم يدلف للداخل ويعود ليدثر بالبطانية...

تمر ساعة أخرى وينظر إلى ساعة الحائط، ليراها تدنو من الحادية عشر مساءً.. لقد تأخر اليوم سوف ينهض الآن ليلملم حاجياته، ومن ثم ينصرف..

هنا يرى ذلك الرجل... يدعـو الله أن يكون زبونًا ويشترى منه أي شيء.

يرمقه من الداخل بعين ناعسة... عندها يرى الشخص يتقدم إلى داخل المحل ببطء..

قائلاً:

- سلام عليكم..

- وعليكم السلام..

يردها عليه ولا يزال جالسًا على مقعده، فينظر إليه الرجل، ويضيف: - أريد التلفاز المعروض بالخارج..

عندها ينهض عم السيد متثاقلاً ويضيف: - تحت أمرك..

ومن ثم يتقدم معه إلى الخارج ويقول: أين؟

هذا هو..

يقولها الرجل وهو يشير بيده على الرف الذي وضع عليه التلفاز.

هل خانته ذاكرته؟!.. لقد كان لديه تلفاز، لكنـه ليس ذلك... ثم... إنه..... ثم...

إنه لم يكن ذلك النوع.. لأن ذلك النوع لم يعد موجودًا، لأن الشركة المصنعة لم تعد تنتجه أساسًا!!!

نعم إن ذاكرته أصبحت واهنة إلى حد كبير، لكنها مهنته، ثم إنه يذكر هذه المعلومة جيدًا!!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

كان فى شقتي جلست وسعيد نرمق الكتاب...

سعيد الساعة أصبحت الحادية عشر مساءً...

وماذا فى ذلك؟ ...

- ألا تريد أن تنام؟

- لا...

قالها وأضاف:

- هذا الكتاب بكل تأكيد... وهذا ما أعلمه أنه يحوي سرًّا كبيرًا

- يا لفصاحتك وعبقريتك... معقول... إنه السر؟

- لا أعلم.

«هذا الشخص غبي لا محالة».. قلتها محدثًا بها نفسي، ثم تثاءبت للمرة المائة ونهضت فاركًا فى عينى وأضفت:.

- لن أستطيع المقاومة أكثر، سوف أدلف إلى الفراش وأنت حينما تتوصل إلى ذلك السر «أيقظني».

- حسنًا

«هذا الشخص سوف يموت مخبولاً بسبب ذلك الكتاب..

أمسك سعيد بالكتاب وفتحه على الصفحات الفارغة..

وأخذ يفكر.... وقعت عينه على قصة ملقاة على المنضدة...

«المنزل الملعون» ..... هبط بعينه على اسم المؤلف.. «هيثم السلحدار»..

رفع من طبقة صوته كي أستمع:

- أنت تقرأ هذا الهراء.. «الكاتب ليس معروفًا حتى»..

لم أعره اهتمامًا وأغمضت عيناي...

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

هيثم السلحدار...

لم يكن هيثم السلحدار كاتبًا بارعًا، لكنه كان يحاول أن يحشر نفسه وسط الجموع التي تكتب، لربما كما يقول «ضربت معاه».

ووجد لنفسه مكانًا... تزوج من امرأة تدعى رباب... هى من يحمسه ويدفعه إلى الأمام... أتخذ من هذه الشقة عشًّا للزوجية عمارة لا بأس بها على الإطـلاق، لكنه يرتاب فى أحـد جيرانه.... منظره يوحى بأنه «ابن ناس».. على حد قوله، لكنه أرمل ماتت عنه زوجته وابنته.....

بكل تأكيد هذا الشخص هو أنا إبراهيم فتحي...

(آسف على الدخول فى الأحداث) أدعك تكمل!!

كان يعطيه نسخة من القصة التي ينشرها على سبيل الهدية، لأنه جاره على كل حال.

لو أردت أن أصفه لك لقلت لك: إنه أشبه بالفنان الراحل عبد السلام النابلسي..

لكنه ودود..

قصته باختصار كما تقولها زوجته:

أنه كان يجلس على مكتبه يكتب قصة جديدة من قصصه تلك التي يكتبها، ثم نتشنج قليلاً... واحمرت عيناه... ونهض ليخرج من غرفته ليجلس على الأريكة.. ثم طلب منها بعضًا من الحبوب المهدئة...

نهضت لتحضر كوب الماء والحبوب عندها وقفت غير مصدقة عينيها!

رأته يهتاج ويعوى ألمًا... ثم يسقط على الأرض... ثم ينهض قابضًا بيده على رقبته...، كأنه يخنق نفسه ثم «فروووو».. انفجر الدم من فمه وأنفه كالنافورة... ثم سقط على الأرض وسكنت حركته إلى الأبد!!

وسقطت منها الصينية!!!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

فريق
متميزون
E-BOOK

اكتشاف صغير..

ترن ترن

- ألوو

- بابا

- حسنًا... كنت سأتحدث معك

- أميمة صغيرتي كم أشتاق إليك

- وأنا أيضًا يا بابا

- أريد أن أتحدث إليك

- وأنا أريد أن أسمعك.... تعرفين من جعلني أتصل بك؟

- سعيد

- لا... لِمَ قلت سعيد؟.... هل هنالك خطب ما؟

- نعم

- وما هو؟ هل هنالك مشكلة بينكما؟

- لا.. فقط التلفاز!

- التلفاز... إنه هو من جعلني أتصل بك.. أتذكرين التلفاز الذي أعطيتكم إياه فى زواجكم كهدية؟

- هذا ما أريد التحدث فيه يا بابا.... إنه هو... ذلك الداهية... لقد اختفى!

- اختفى.. إنه..

صمت الرجل قليلاً ولم يكمل عبارته، ورتب أفكاره قبل التحدث فى أي شيء، وقرر أن يصارح زوجها بما دار فى ذهنه.

- حسنًا يا حبيبتي، وبالطبع ماركته (.....) - ذاتها يا بابا... نعم هى أقسم لك أنه اختفى، وسعيد يصر على أنني قد أعطيته لأحد ونسيت أو أنني أعيد إصلاحه.

أقسمت له، لكنه قال إنني صرت مهملة وأخرف وأختلق الأشياء اختلاقًا.

- حسنًا حسنًا أعطيه السماعة حتى أحدثه.

- لا... ليس هنا

- إذًا أين؟

- عند صديق له يدعى (حاجة فتحي)

- سوف أتصل به لاحقًا إذًا.. أقول لك شيئًا

- أعطيني هاتف صاحبه هذا إن كان عندك، وسوف أتصل به هناك.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

السر ينكشف..

وهكذا جلس سعيد يفكر فيما حدث.....

أخذ يردد كالمعتوه:

(التلفاز)..... (التلفاز)

وترك أمر التلفاز وأمسك بالكتاب.....

يقلب بين الصفحات..... ويردد:

(من امتلك الكتاب فعل النسخ فى المعجم)..

يتنهد ثم يضيف:

هذه الجملة كثيرة جدًّا داخل الكتاب، لا بد من لغز ما..

(من امتلك الكتاب فعل النسخ فى المعجم) لكن ما معنى النسخ فى المعجم؟

سأل السؤال لنفسه وتعجب لأنه لا يعرف!!

مدرس لغة عربية ولا يدري ما معنى مصطلح (النسخ) فى معجم اللغة العربية..

هرش فى مؤخرة رأسه وكأنما يبحث داخلها.... هنا تذكر أن حقيبته معه، وبها (المعجم) الخاص به.. (معجم) صغير محمول لكنه يفي بالغرض على كل حال....

لا بد أنه قد شعر بأنه فى طريقه إلى الحل.

«فى شقتي يرتع سعيد بلا تحفظ فهو صديقي، لذا فمن كامل حقوقه أن يفتح ثلاجتي ويلتهم أكلى فى نهم، الفرخة الناضجة التي نمت أحلم بها بين أسناني وبالطبع دخول حمامي، ومن ثم الكثير من قشر اللب على الأرض على السجاد الخاص بي.... فهو صديقي ويحق له هذا.... بكل تأكيد.....

فلا ألومه إن دق جرس الباب ودلف إلى الداخل أبو لهب ومعه إحدى الجواري ليرقصن فى شقتي..... فهذا كله حقه ما دام صديقي وأنا.... وللحسرة صديقه»..

«ترن ترن».. «ترن ترن»

جرس الهاتف يرن بإلحاح فى شقتي وأنا نائم كوسادة فى فراشي، لكن سعيد طبعًا يقظ، وبكامل عافيته فأنا أكاد أقسم أنه لولا وجوده فى شقتي لما ظل ساهرًا.

يقظ.. يشرب القهوة.. وينظر إلى الهاتف فى فضول ثم يناديني بصوت لا يكاد هو أن يسمعه، لأنه بالطبع فضولي ولا يريدني أن أنهض ويريد هو أن يجيب، (لا بد أنه حسب أنني عربيد ومن الذين يتحدثون إلى الفتيات إياها!) ينهض هو واقفًا ويلقى نظرة على وأنا فى فراشي ثم يبتسم فى خبث ... (هكذا أتخيله)، ومن ثم يتقدم بخطوات واسعة نحو الهاتف ويرفع السماعة ثم: - ألوو يا جميل

- ألوو.. (صوت رجل وقور)

- من معي؟

- السيد فتحي معي؟

- لا يوجد أحد هنا بهذا الاسم... أتقصد إبراهيم... إبراهيم فتحي؟

- سعيد... أنت سعيد.. أنا السيد جاد الله حماك!

- أهلاً عمى ما الذي جعلك تتصل بي هنا؟ أهنالك خطب ما؟

- لا أبدًا.

- إذًا.. ماذا هنالك؟

- التلفاز!!

- لا إله إلا الله..

قالها فى نفاد صبر.. ثم أضاف:

- قد قلت لأميمة إنها تهذي لقد جنت.... أ.... أقصد أنها ربما نسيت ما إن كانت تعيد إصلاحه أو أعطته لـ.....

قاطعه الرجل قائلاً:

- لا.... لم يحدث شيء من هذا..

- و.....

- التلفاز عندي فى الحانوت!!

- عندك.... أهي؟ أأ.....

(قاطعه مرة أخرى):

ـ..... لم تعطني شيئًا.. بكل تأكيد، وإلا كنت أخبرتك..

- إذًا كيف وصل إليك؟

لا أعلم.... فأنا... (وقص عليه ما حدث بالتفصيل) - بالطبع يا عمى أنت تعلم مواصفات التلفاز الخاص بنا جيدًا؟

- بالطبع.. لأ نني من أهداكم إياه.. ثم هذه مهنتي...

- نعم.... أنا لا أقصد أن أشكك فى.. على كل سوف آتى إليك وأستعيده فى أقرب وقت..

- وأنا أنتظرك.. إن شاء الله..

- إن شاء الله..

وهكذا أغلق سماعة الهاتف وأخذ يقفز فرحًا، وهو يردد: «وجدتها..... وجدتها»، وكأنه أينشتاين..

ظل يصرخ ويصرخ ومن ثم برووم، لكمة فى بطني ثم..

(أيييييييييييى)!!

نهضت صارخًا.. لأجده يجثو على قدميه على مقدمة الفراش ويحملق فى وجهي كالمعتوه، وهو يصرخ قائلاً: «وجدتها..... وجدتها»..

فركت عينى ثم سألته قائلاً بعد أن تثاءبت: - أ ووو... ما هى التي وجدتها؟

- الشفرة..

- شفرة؟!

- الكتاب!

- كتاب؟!

- هل أصبت بالزهايمر؟ قالها ثم أضاف...

- الكتاب «كان».. بائع الروبابكيا..

هنا بدأت أستفيق وأسترجع ما كان وما يحدث فنهضت جالسًا ثم قلت: - هه.... ما الذي حدث؟.. ما الذي كنت تقوله؟

- تعال..

قالها وهو يجرني جرًّا من كم المنامة إلى الخارج.....

أجلسني أمامه ثم بدأ يتحدث:

- وجدتها..

- ما التي وجدتها؟

- السر... سر الكتاب....

وبعدها بدأ فى الشرح: - (كان.... تتيييييييييت تيييت يتتتى تتى الخبر وا. تيتتيييييى المبتدأ) ومن ثم (الخبر... تتييت تيتيييييت يتيتتى يتتت المبتدأ)، ها هل فهمت؟

نظرت له نظرة بلهاء ومن ثم أجبته:

- أنا لا أفهم شيئًا.. ثم إنني لم أكن أحب اللغة العربية أساسًا.

- إذًا.. أعيد عليك الشرح..

وبدأ فى إعادة ما قال مرة أخرى:

- (كان.... أداة نسخ فهي تنسخ ا التيييييييييت تيييت يتتتى تتى الخبر والتيتتيييييى المبتدأ.. الخبر...) - كله كلام عادى ليس فيه شيء فما الذي اكتشفته يا أديسون؟

- لقد..... كان..... الخبر..... إذًا له.... المعجم..

«لم أسمع شيئًا لأنني كنت أنظر على الثلاجة التي تركها مفتوحة.... ومن ثم..

بقايا تقشير اللب على السجادة..

«هذا الرجل جعل من شقتي إسطبل يرتع فيه» ...

- هل فهمت؟

- نعم... نعم... فهمت.

قلتها وأنا لا أفهم حرفًا ثم وقبل أن أضيف شيئًا قاطعني قائلاً: - إذًا ما الذي فهمته؟

- هه... (سؤال لم يكن متوقعًا) ... احمرت أذناي وأخذت أعبر له عما فهمته: إن الخبر خبر كان و... ظل.... بات.... فات مات.... ولم أجد مناصًا سوى أن أخرس، وأنتبه له، لأنني بمعنى الكلمة أخذت ألوّش.

نظر لى فى غباء وأضاف:

- كان من الأفعال الناسخة وهي أفعال ترفع المبتدأ وتنصب الخبر

فيسمى المبتدأ اسمًا لها ويسمى الخبر خبرًا لها.

سكت ونظر لى فوجدني منصتًا فأضاف:

- هل فهمت شيئًا؟

«هذه المرة لن أجعله يستريح» نظرت له فى بلاهة وأجبته: - بالطبع لا لأنني كما قلت لا أحب النحو ولا العربي، ثم أين هو السر

فيما قلت؟

- السر ليس فيما قلت!

كدت أصفعه وتنفلت يداي، لكنني أمسكت أعصابي وأضفت: - ضاغطًا على أسناني: «ولماذا إذا تصدع رأسي بذلك الكلام الفارغ وتحكي لى ذلك كله؟.. أرجو أن تلخص لى.. لأن الضغط قد بدا يرتفع وبدأت أفقد أعصابي.

- «هل رأيت هذه الجملة؟!

قالها، وهو يشير إلى جملة ما فى الكتاب..

أخذت أتهجأ الكلمات بصوت هامس:

- (من امتلك الكتاب فعل النسخ فى المعجم).. نعم أراها... ماذا فيها؟ لقد رأيتها مسبقًا..

- ألم تفهم منها شيئًا؟

حككت رأسي مرتين دليلاً على غبائي ومن ثم قلت: - لا...

نظر لى، كأنني حمار وحشي لا يفقه شيئًا وقال بافتخار: - لقد لاحظت أن تلك الجملة قد تكررت مرارًا ها هنا، فى البداية لم أفهم ثم بحثت عن تفسير لها داخل الكتاب فلم أجد، لكنني وجدت شيئًا آخر

- وما هو؟

أمسك بالكتاب وأخذ يقلب فى صفحاته ثم توقف عند آخره وناوله لى وهو يضيف: - «انظر إلى هذه الصفحات»..

وبدأت أنظر وأخذ يكمل:

- هذه الصفحات الخالية سترى فيها جملاً مكتملة وجملاً لم تكتمل!

- صحيح... وماذا فى ذلك؟.... لقد أكملت أنا نفسي هذه الجملة أثناء وجودنا فى فرح صديقك «.....» مم.... لا أذكر اسمه الآن.

- نعم.... نعم.... عرفت هذا..

- وكيف عرفته أيها الكاهن.. يا «أنوستراداموس»؟

- «سوف أخبرك بكل شيء» ... لكن أولاً أقسم لى على أن ذلك سوف يكون سرًّا بيني وبينك ولن يطلع عليه أحد... وإلا كان مصيرنا السجن أو السرايا الصفراء لا محالة!!

نظرت له فى غير فهم، لكنني أقسمت له ألا أخبر بما سيقوله أحدًا طالما أراد ذلك.

عندها جلس وأوقد لفافة من التبغ وسحب نفسًا عميقًا ونفخه فى الهواء

ثم أضاف:.

- لأمر يا عزيزي بدأ بعد أن جلست ورتبت أفكاري.... سوف تجده غريبًا... أعلم هذا... لن تصدقه.... محتمل، لكنه كذلك حقيقي...

لقد اتصل بي والد أميمة زوجتي وقال لى إن التلفاز الخاص بنا «عنده» فى محاله!!

وهذا كان بداية الخيط.. فكيف وصل إلى هناك؟

- نعم.. صحيح

- لقد حكيت لك القصة التي حدثت مع أميمة عندما اختفى التلفاز.

- هممممم.. نعم أذكر هذا جيدًا، وقلت أنت إنها تخرف.

- نعم، لكنها لم تكن كذلك.... لأن هذا قد حدث بالفعل..

سحب نفسًا عميقًا آخر ونفخه فى الهواء، ثم أضاف: - التلفاز اختفى من الشقة ليذهب إلى المكان الذي جاء إلينا منه.. بالأدق الذي «كان» فيه.

قالها ضاغطًا على كلمة (كان) ثم أضاف «بعد أن نفث عدة أنفاس وزفرها فى الهواء ليعميني»: - هذه الجملة.. «يقصد».. (من امتلك الكتاب).. هى سر لغز الكتاب.. فمن يفسرها.. يكتشف أن لديه كنزًا ولم يكن يدري!

- كيف؟

- سأخبرك.. أصغ لى جيدًا..

قالها، فأصغيت السمع واقتربت منه أكثر..

تنهد طويلاً.. ثم راح يفسر لى كل شيء:

- الجزء الأول من الجملة يفسر نفسه (من امتلك الكتاب) وهو نحن أنا وأنت.

صحيح، والجزء الثاني؟ (فعل النسخ فى المعجم)..

هذا ما أرهقني حتى توصلت إليه... لقد أمسكت بذلك المعجم الصغير

«والتقط من جانبه كتيبًا صغيرًا بحجم اليد وهو يضيف: - «وبحثت فيه عن معنى النسخ» كلمة «النسخ»..

فوجدت عدة معانٍ لم يصلح منها سوى معنى واحد فقط وهو «الإزالة»

لكن هنالك شرط لاحظته.. لذا أعطيتك هذه الصفحات لتراها.

- «ما... ما... هو؟»

قلتها وأنا غير مصدق، لكنى أريد السماع رغم ذلك.

هـذه الصفحات التي أمامك فارغـة إلا من تلك الجمـل غيـر المكتملة أو غير المكتوبة أصلاً فكل ما خط هو كلمة «كان.....» ثم نقط

- «نعم... نعم» قلتها وأنا أنظر للجمل التي فرغ بعضها واكتمل بعضها بفعل فاعل، فلم أدعه يكمل لأنني عرفت الباقي وخمنته، فأضفت: - بالطبع الشرط هو «أن تخط بيدك داخل الكتاب ما تريد إزالته».

- صحيح، لكن هنالك شيء لا أعرفه ولم أفهمه حتى الآن.....

- «الكتاب يقول الإزالة، فكيف حدث ما حدث مع التلفاز»..

قلتها أنا وقد خمنت ما يدور فى ذهنه، فنظر لى مصدقًا وأضاف: - أنت على حق فهذا ما لم أستنتجه أو لم أجد له تفسيرًا... فلو كان ما توصلت إليه صحيحًا مائة بالمائة، لكان انفجر مثلاً أو عاد إلى مصنعه أو.

- ربما كان الكتـاب يفعـل ما يحلو له، أو أن مهمته هى أن يتحقق فيه.. فى الشئ المطلوب نسخة كلمة كان..

قلتها مقاطعًا عليه تفكيره، فأضاف:

- ربما... لكن هنالك عدة مصائب قد تمت بالفعل....

- مصائب..

- نعم... انظر إلى تكملة الجمل التي عندك وسوف تفهم!

نظرت وقد بدأت أفهم ما يرنو إليه....

«كان الفرح».. «كان التلفاز».. «كان فرج».. ومن ثم «كان هيثم السلحدار»!! جارى؟!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

مصيبة أخرى..

نظر إلى وأنا أرتب أفكاري وأعيد ربط الأحداث ببعضها فقاطعني قائلاً: - كل ما كتب بجوار كلمة «كـان».. قـد تمت إزالته!! ما عدا التلفاز....

- أنت تهذي هذا جنون، قلتها وأنا أكاد أجن.

- والفرح... الذي انفض، وفرج الذي مات فى المدرسة التي أعمل بها و... قاطعته قائلاً: - صدف لا أكثر.

- والتلفاز و... هنا تناهى إلى مسامعنا صرخة أنثوية رهيبة كادت أن تجمد الدم فى عروقنا... وثبت من على الأريكة وهرولت وخلفي سعيد، فتحت الباب، أصغيت السمع.... رأيت باقي القاطنين يطلون من بئر السلم، وما رأوني حتى صرخوا قائلين: - من عندك من ذات الطابق.

وبالطبع هرول أحدهم فى الدرج وأصبح يركض أمامي ومن ثم....

- اااااااااه... صرخة أخرى.. هذه المرة اتضحت الرؤية.. إنها قادمة من شقة ذلك الكاتب الذي يدعى هيثم السلحدار!

- «لقد مات»!

قالها سعيد واثقًا كأنه عراف... فنظر له أحد القاطنين بقرف ملحوظ وأضاف: - فأل الله ولا فالك...

أضاف آخر فى فضول:

- من هو الذي مات... ثم كيف عرفت؟!

«هذا المخبول سيؤدى بنا إلى السجن».. هههههه... ابتسمت ابتسامة بلهاء وغمزت سعيد فى كتفه وأضفت: - لا... لا شيء... لا عليك لقد كنا نلعب الشطرنج وقد خسرت، فمات الشاه.

نظر لى سعيد بكل عته وأضاف:

- شطرنج» إيه؟

وقبل أن يتمادى فى عكه نظرت له نظرة ذات معنى فحك رأسه وقال: - نعم نعم مات الملك...

قالها، وكنا قد وصلنا عند باب الشقة الخاصة بهيثم السلحدار... كان هنالك..

من دخل قبلنا وأخذ يصرخ ويهلل «قتيل... قتيل»، وهنالك من فقد الوعي..

وهنالك.. سعيد وأنا، ننظر إلى بعضنا البعض وننظر إلى جثمان هيثم

الذي فقد رأسه وعنقه تقريبًا.

نظرت إلى زوجته التي انهارت وجلست تنتحب... هنالك صينية ملقاة أرضًا أمامها.... هنالك كوبان من الشاي.. كيف عرفت أنه شاي؟.. لأن هنالك بقايا شاي داخل الأكواب.

- «لا بد أن نخبر الشرطة»..

- «لا يحرك أحد أي شيء»

- «ما الذي حدث؟»

كلها أسئلة قد ثارت، وبالطبع نحن نعلم ما حدث....

تقمصت دور الشرطة وبدأت أخرج الجيران من الشقة... وأحضرت ملاءة ووضعتها على جسد هيثم، وجلست بجوار زوجته وسألتها: ما الذي حدث بالضبط يا مدام نادية؟

هأ.... هأ... مم... مم.. «تشنجت قليلاً»، ثم قصت علينا ما قرأته أنت لذا اتركني أستمع أنا إذًا.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

بالطبع أتت الشرطة وبعدها أتت النيابة وبالطبع... لن يتوصلوا إلى شيء.

خرجت أنا وسعيد ونحن نتبادل النظرات.. دون أن نتفوه بكلمة واحدة، حتى دلفنا داخل شقتي.

جلست على الأريكة أمام الكتاب وأنا أرمقه بكل ذهول ثم أضفت: - هذا الكتاب كارثة بكل المقاييس

- بل كنز!

- هل تخرف، ومن ماتوا هؤلاء؟! ألم يكن بسبب ذلك الكتاب اللعين؟

- لا... بل هو قدرهم... عمرهم... أجلهم.

- أجلهم؟!

- نعم أجلهم.. فالقادر على أخذ الأرواح هو الله وحده، أما ذلك الكتاب فسبب لا أكثر.

- أنا لا أوافق... ثم ما هذا الذي تقوله.. يجب أن نتخلص منه بأسرع وقت ممكن.

- أما أنا فلا أوافق فمن الممكن الاحتياج إليه!

- فى ماذا؟

- هذا الكتاب أداة للقتل، لكنها كاتمة للصوت...

قاطعني قائلاً:

- أنت لا تفهم ما أرنو إليه..

- أيًّا كان فهو حرام... وأنا لا أوافق عليه.

- بل ستوافق

- لا... بل لن أفعل.

قلتها وأنا أمسك بالكتاب وأسير تجاه باب الشقة.. عندها أمسكني سعيد من يدي وأضاف: - «لن تخرج بالكتاب»!

نظرت له فلمحت الشر فى عينيه فأضفت فى شك:.

- ماذا تعنى؟

- ما أعنيه... أنك لن تخرج!!

لقد تغيرت لهجته تمامًا وانتفشت رأسه، واحمرت عيناه، حتى توقعت أن سيل الزبد من فيه ويتحول إلى غول..

- بل سأخرج..

قلتها مكورًا قبضة يدي ثم..

«بووووووم»..

«طاخ خ» ... «اااااااى»

لكمة لا بأس بها فى فكـه ثم أخـرى لا بأس بها فى أنفى أنا، ثم «بووووم»..

طاخ خ «.. ثم سقطنا نحن الاثنان أرضًا، ولهثنا.....

- أنت غبي...

- بل أنت الغبي.... سوف تضيع الفرصة.... يمكن أن... كح كح.. نفكر فى شيء نفعله بهذا الكتاب... كح كح...

- بل أنت تحلم... ذلك الكتاب ليس سوى قوى هائلة من الشر.. هذه المرة الأولى التي نتعارك فيها.. والسبب هو.

- بل السبب هو أنت وعنادك..

- لا.... إنها قوى الشر... هذا الكتاب ليس إلا قوى شر هائلة..

نهض وهو ينفض الغبار عن ملابسه ونهضت أنا أيضًا، ثم أضاف:.

- حسنًا..... عندك حق، كح كح، لكن كيف سنتخلص منه؟

قالها وهو يدنو منى ثم... «تعانقنا...»..

- لقد كانت يداك قويتان..

- ما زلت تحتفظ بقوتك يا صاح..

- عذرًا يا صديقي..

- بل عذرًا أنت... لقد سيطرت على قوى غريبة جعلتني أصطدم بك

- لا عليك... اجلس سوف أعد لك بعض القهوة.

قلتها، ودلفت إلى داخل المطبخ فى سذاجة.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

أخبـار لا تسر..

«بووووووووم....»

دوى صوت الانفجار ليخترق أذناي..

تركت القهوة على النار لتفور، وخرجت إلى سعيد.. لأجده قد ذهب..

لقد خدعني، واستغل وجودي داخل المطبخ لأعد له القهوة، وسرق الكتاب ورحل!

يا لى من مغفل.. أحمق..

تذكرت الانفجار الذي دوى منذ قليل..

فهرولت إلى النافذة ونظرت من خلالها.. وكان ما توقعت!

لقد كانت سيارتي العزيزة.. تحترق، وتلفظ أنفاسها الأخيرة..

لقد فعلها سعيد.. فعلها ليشل حركتي..

لقد دمر وسيلة المواصلات الخاصة بي.. لكن هيهات فأنا لست لقمة سائغة.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

أبدلت ملابسي.. والتقطت قلمًا كان على المنضدة، وضعته فى جيبي..

ودلفت إلى الخارج..

مرت دقيقة... دقيقتان.. وأنا أتأمل سيارتي المسكينة وهي تودعني، وأفكر فى المكان الذي من الممكن أن يتواجد به سعيد..

المكان الذي سيفكر هو فى التواجد به..

فلم أجد سوى.. شقته..

لكنه ليس غبيًّا مثلى... أقصد.. لن يفكر بهذه السذاجة.. ثم وإن ذهبت ولم أجده فربما أخبرته زوجته بقدومي ووقتها سيكتشف أن تواجده فى البيت سيتيح لى ملاقاته، وعندها سوف يفكر فى فندق ما، وسأجد نفسي حينئذ فى مأزق رائع وموقف لا أحسد عليه..

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

وهكذا لم أجد مناصًا من العودة إلى شقتي فى يأس.....

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

لم أبدل ثيابي، جلست وفتحت التلفاز ليبدد ملل الساعات القادمة، وكانت الطامة الكبرى!!

«سعيد يسعى فى الأرض فسادًا»

فقد انهالت الأخبار على:

(أعزائي المشاهدين خبر عاجل.. وهو يعد الحالة الأولى من نوعها بل الكارثة الأولى من نوعها..

«الأهرامات.. تتحول إلى قطع من الحجارة المتراصة.. بالقرب من بعضها البعض)!

وقد صرح كل من الدكتور (.....).. والأستاذ (.....) أن هذه كارثة..

من الممكن أن تكون..... ولا بد أن..... لعنة الفراعنة من الممكن أن.....

يا للأسف.. إنه يفعل أفعالاً صبيانية..

فهو يجرب الكتاب اللعين فى كل شيء.. حتى معالم البلاد.. إنه يهدم التاريخ..

أما الخبر الثاني الذي وافانا به الزميل (.....).. الآن...

فهو أن:

(ميدان التحرير يختفي بالكامل ويصبح صحراء جرداء)..

وقد صرح كل من الأستاذ (.....) والأستاذ (.....) أن هذا يعد.....

وبالطبع لن أفاجأ أنا لو خررت الآن ميتًا أو صرت طفلاً يحبو..

أما.. الخبر الثالث..

..... فهو..... انفجار موقف للحاملات بمنطقة ال- (.....).. بالقرب من التحرير.. الذي لم يعد ميدان التحرير بعد... وقد قال كل من السيد فلان والسيد علان أن هذا..

وقد تحركت كل من... و.....

الأمل كل الأمل فى إيجاد سعيد وعودته إلى منزله الليلة..

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

الكثير من أقداح القهوة الفارغة أمامي على المنضدة.. معلنة عن ذوبان جدار معدتي..

أما عنى أنا..

فأجلس على القهوة التي يجلس عليها سعيد، وذلك لشيئين.. أولهما لأنني لو جلست فى شقتي لنمت، وغلبني النعاس، وبالطبع لن أذهب إلى سعيد فى شقته كما عزمت، وثانيهما أنه من الممكن أن يأتي إلى هنا ما دام يتردد على هذه القهوة..

جاءني ذلك الطاهر أو الهيثم أو الرأفت.. أيًّا كان اسمه، الذي حضرت مع سعيد فرحه أو فرح أخيه.. لا أذكر، ثم أخذ يرحب بي فى حرارة زائدة، وأخذ يسألني عن أحوالي، وعن سعيد، الذي لم يره منذ الفرح و....

- متى تغلقون القهوة؟

قلتها مقاطعًا إياه.. فصمت، وأجاب:

- إحنا مبنقفلش خالص ولا مؤاخذة.. هههههه.. إحنا هنا صبَّاحى..

- الحمد لله..

- إيه؟

- لا شيء.. لا شيء..

قلتها ثم نظرت إلى ساعتي لأجدها الواحدة والنصف صباحًا.. بالطبع لن أذهب الآن.. فسوف أنتظر هنا ساعة أو ساعتين لأتأكد أنه قد عاد..

نظرت إلى شوقي هذا الذي لم أعرف اسمه، وطلبت قدحًا آخر من القهوة..

يا له من مساء....

الساعة الآن الرابعة إلا الربع صباحًا... المواصلات نادرة تقريبًا، لكنني لم أحتجها والحمد لله، فالقهوة بالقرب من المنزل الذي يقطن فيه سعيد.

صعدت الدرج، وبالطبع حمدت الله على أن باب البناية لم يكن مغلقًا..

وصلت إلى الشقة، ودققت الجرس مرة.. مرتين.. «كل الأسى لو لم يكن موجودًا، وفتحت لى زوجته.. وقتها لك أن تذكر سبب مجيئك إلى منزلها فى ذلك التوقيت، وفى عدم وجود زوجها الذي هو سعيد.. وبالطبع وقتها سوف أصبح فى نظرها... مم.. لك أن تعي ما أعنيه..

فهو ليس بالوقت المناسب أعلم، لكنه الآن وفى مثل هذه الظروف يعد مناسبًا، وهو أفضل وقت ممكن أن أجد فيه (سعيد)، ثم فى مثل هذه الظروف لا يوجد وقت يعد مناسبًا أو غير مناسب..

تك... تك!!

انفتح الباب ببطء!!

ليعلن لى عن وجه سعيد، لكنه ناعس تمامًا..

«بووووم»

لم أعطه أية فرصة كي يتملص أو يستفيق، فقط باغته بلكمة لا بأس بها فى وجهه..

ولحسن حظي لم يطلق أية صرخات، فقط تكوم على الأرض محترمًا نفسه، ليكمل نومه على السجادة..

وثبت من فوقه بعد أن أغلقت الباب فى هدوء، وبدأت رحلة البحث عن الكتاب اللعين..

هنا... لا ليس هنا... إذًا لا بد أنه هنا.. لا لم.. إذًا من الممكن أن يكون فى غرفة نومه.. فبها زوجته.. و...

- سعيييييييد!!

ما هذا الصوت؟

- سعيييييييد!!

إنها زوجته.. لقد استيقظت.. يا للورطة، ماذا سأقول لها، بل ما الذي أفعله الآن.. أو بالتحديد ما الذي سوف تفعله هى؟..

- سعيييييييد!!

كدت أجيبها «بحالاً جاي».. أو «نامي أنت»، لكنها تعرف صوت زوجها، وإلا كانت بلهاء.

قررت ألا أجيبها، وأستمر فى عملية البحث فى سرعة عن الكتاب، وأنصرف..

هنا.. لا.. بل هنا.. ثم دلفت إلى غرفة مكتبه، وبدأت أبحث بعد أن أضأت المصباح..

عندها رأيته.. تهللت فرحًا.. فلم أحتج إلى الدخول إلى غرفة نومه..

- من؟!

قالتها زوجته.. التي رأيتها تقف أمامي بشعرها المنكوش...

أنا إبراهيم فتحي صديق زوجك الذي و... لم تتركني لأكمل مبرراتي..

«فإن كنت صديقه حقًّا.. فلك أن توضح لها.. لما هو ملقى على الأرض بلا حراك فى وسط الصالة، وأنفه يذرف دمًا، ولمَ أنت فى غرفة مكتبه الخاص كاللصوص.. عليك أن تشرح هذا، وتفترض فيها الذكاء المبهر..»

بالطبع لم تنتظر هى أكثر من ذلك و...

«يالاهوييييييييييييييي»!!

أطلقت صرخة مدوية كسارينة الإسعاف، ومن ثم تبعتها أخرى بـ: حراااااااااااميييييى!!

لم يستغرق الأمر سوى ثوانٍ كي يتدفق جميع السكان القاطنين بالبناية إلى شقة سعيد، وتصير مثل موقف شبرا، ثم يتقدم أحدهم، وهو يرتدى منامه، ويصوب مسدسًا نحوي، ويبدأ فى تهديدي.. يا له من مأزق..

فى هذه اللحظة رأيت (سعيد)، الذي أفاق يجتاز الصفوف، وهو يبتسم ويضيف: - الكتاب.. الكتاب يا إبراهيم..

- لا.. لن أعطيك إياه..

قلتها وأنا أوارى الكتاب فى ملابسي..

بالطبع سمعت عدة جمل، وكلمات على غرار «أما حرامي بجح».. «مجنون».. وغير ذلك على سبيل المديح لا أكثر، لكنني لم أكن أعبأ بهم، فهم لا يفقهون شيئًا.

- الكتاب يا إبراهيم.. أعطني إياه إذا سمحت.. وسوف أتركك ترحل فى سلام، ولن أبلغ الشرطة.

- أنا لست لصًّا..

«أما والله غريبة دى».. «حرامي وممسوك فى شقة الراجل متلبس، وبينكر إنه مش حرامي «.. مجنون».

- الكتاب يا إبراهيم، وإلا...

هنا.. التقط سعيد المسدس من الرجل ذي المنامة، وصوبه تجاهي!!

- أتقتلني؟!

- نعم.. دفاعًا عن النفس يا صديقي..

فالتقط أحدهم الهاتف، وطلب الشرطة..

سمعت الصوت الخفيض الصادر من السماعة يقول: - قسم شرطة (.....) ... من المبلغ؟

لم أنتظر أنا أكثر من ذلك، فجلست على أقرب مقعد وهو مقعد المكتب معلنًا استسلامي.. وفى اللحظة ذاتها دسست إصبعي من بين صفحات الكتاب، وفتحته على الصفحات الفارغة..

لا أعلم كيف خطرت هذه الفكرة على بالى، بالطبع لن يتركني سعيد أفعل ما يخطر ببالى، لذا فاجأت الجميع، بعد أن نظرت خلفهم، وأضفت فى أسى: - ها قد أتت الشرطة.. على غرار «بصوا العصفورة».. فبالطبع لم تكن الشرطة قد أتت.. لكنني كنت أحتاج إلى بضع ثوان.. مجرد ثوان كي أخرج القلم من جيبي، وأخط بجانب إحدى الجمل غير المكتملة..

«كان... كتاب كان...»!!!!!

عندها صرخ سعيد، لكن كل شيء كان قد تلاشى...!!!!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

الخــاتمـة

الساعة العاشرة صباحًا..

الآن تراني أقف فى الشرفة، وأرمق بائع الروبابكيا، الذي أخذ يصرخ قائلاً بضع كلمات، لن تتبين منها سوى كلمة.. بكيا..

التي تدل على أنه بائع روبابكيا.

أين رأيت ذلك المشهد؟.. لا أعلم.. لكنني أذكره بحذافيره، يعتريني شعور بأنني قد رأيته من قبل.. عشته من قبل، لكن أين.. أو متى.. لا أعلم.. حقًّا لا أعلم..

أعتقد أن الأطباء يطلقون على هذه الحالة اسم «الديجافو».. ربما.

وهكذا فردت ذراعي فى الهواء كي «أتمطع».. عذرًا لم أجد سوى ذلك التعبير.. ومن ثم...

ترررن ترررن..

جرس الباب يدق، ذهبت لأفتحه، لأجد هيثم السلحدار.. جارى اللدود.. يبتسم فى بلاهة، وفى إحدى يديه قصة.. من قصصه السخيفة.. التي تحكي عن عوالم الرعب..

هذه قصتي الجديدة، أرجو أن تنال إعجابك يا أستاذ فتحي..

إن شاء الله..

هكذا تناولتها منه، وأغلقت الباب بعد أن انصرف، وبعد أن شكرته بالطبع.. ودعوته إلى تناول الفطور معي، لكنه اعتذر وانصرف، شاكرًا إياى..

دلفت إلى الداخل، وجلست أتناول الإفطار، وأتابع التلفاز، ومن ثم..

«بكيا»...

يأخذ الصوت فى الابتعاد..

«بكيا»...

ويمر بائع الروبابكيا فى سلام.. أرمق بطرف عينى التلفاز، لأشاهد منظر الأهرامات..

وحوار مع الدكتور (.....) عالم الآثار المعروف، بجوار إحدى عجائب الدنيا السبع...

ابتسمت ثم أخذت ألوك قطعة الجبن فى رضا تام..

يا لها من حياة.. لم أشعر بأن الحياة أجمل أكثر من الآن..

ألا ترون ذلك معي؟ ...

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

(تمت بحمد الله وتوفيقه)

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

٢- الدمية ماندي

البــدايـة..

كولومبيا بريتش عام 1991

نشاهد امرأة في الخمسين من عمرها تهرع، ممسكة بصندوق للهدايا، وهي ترتجف، وتقف أمام باب متحف خط على واجهته «كويسنيل»، وهو المتحف المشهور به تلك المقاطعة الكندية، تقف لتتحدث مع أحد حراس الأمن، وتطلب منه مقابلة أحد من المسئولين من إدارة المتحف، ينظر لها الحارس نظرة تشكك، ثم يضيف: - أقول له من وبخصوص ماذا؟

تلهث السيدة من فرط التعب النفسي، والجسدي، وتضيف: - «ميرياندا».. أما الموضوع فهو سر..

ينظر لها الحارس مرة أخرى، وهو يضيف: - لا يوجد إلا أمين المتحف السيد «جوستاف»..

- نعم هو ذا..

- ثوان فحسب ...

يقولها الحارس، ثم يتوارى داخل المتحف لثوان، ويعود ومعه رجل أصلع نحيف، يبتسم دائمًا فى مرح، يرحب بالسيدة، ويقتادها إلى الداخل، إلى مكتبه..

وفى المكتب يجلس الاثنان، يتبادلان أطراف الحديث.. تتبدل ملامح الرجل إلى التعجب، ويتساءل: - هل هى معك الآن؟

- نعم، داخل ذلك الصندوق..

ينظر الرجل إلى الصندوق، ويمد يده، ويضيف: - أعطني إياه إذا سمحت..

تمد السيدة إليه يدها بالصندوق..

يتناوله الرجل بلهفة، ويفتحه، ليفصح عن دمية قبيحة الشكل، ملابسها متسخة وجسمها متشقق ورأسها ممتلئ بالصدوع والخدوش..

يقلبها الرجل بين راحتيه، فتهمس السيدة: - خذ كل الحذر.. لقد أخبرتك بكل شيء عنها، ولك حرية الاختيار.

ينظر إليها وهو يبتسم ويضيف:

- لا تقلقي، سوف نتخذ كل الإجراءات التي تجعلها آمنة فى متحفنا.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

متحف كويسنيل بمقاطعة كولومبيا بريتش

عام ٢٠١٢

هنا ترى مجموعة من التماثيل، التي على ما يبدو من حضارة المايا.. وفى ذلك الركن ترى ذلك التمثال الفرعوني، وهناك، وبالتحديد فى ذلك الركن، تراه، وقد تكور حول نفسه، وغط فى سبات عميق، ولا بأس من إصدار بعض الأصـوات العذبة التي تنم عن تلف الشكمان الخاص بجهازه التنفسي..

يجلس بمفرده فى تلك البقعة من المتحـف ليحرسها، اثنى عشر ساعة كاملة تمر عليه، وهو بين جالس وقائم، ثم سائر بين التحف، ثم نائم..

اثنا عشر ساعة كاملة يرى خلالها الكثير والكثير، عائلات، عشاق، فرادى.

يجوبون جنبات المتحف، يلتقطون الصور هاهنا، يضحكون هنا، ويقفون بالساعات هاهنا..

الكل يقف كثيرًا أمام ذلك الصندوق الزجاجي، الذي وضعت بداخله تلك الدمية، دمية أقرب إلى دمى الأطفال العادية، متوسطة الحجم.. شكلها القبيح، وهيئتها المسربلة، توحى أنهم قد أتوا بها للتو من صندوق القمامة، لكن الأسطورة التي نسجت حولها، جعلتها، تأخذ تلك المكانة بين زوار المتحف، وتجذب انتباههم جميعًا.. لم يقرأ التقرير المكتوب عنها قط، لكنه لا يعلم عنها سوى القليل، القليل جدًّا.. وهو ما قصه عليه صديقه فى المتحف..

هناك سيدة.. أتت إلى إدارة المتحف، وقصت عليهم، ما قصته، ثم وضعت فى مكانها فى ذلك الصندوق..

لكنه دائمًا ما يقول إن الناس تختلق القصص اختلاقًا كي تجعل من أشيائها أشياء ذات قيمة، كي يبتاعها منهم المغفلون..

ذلك الركن به عدة صناديق الزجاج، واستقر داخله العديد من التحف المصنوعة من الذهب الخالص..

تمر ساعات النهار عليه طويلة.. مملة.. لا ينام فيها، ولن يستطيع وسط كل تلك الحشود التي تجوب المتحف هنا وهناك، لذا ينتظر الموعد الخاص بإغلاق المتحف بفارغ الصبر، حتى ينام..

يتخذ من ذلك الركن غرفة النوم الخاص به، ومن ذلك المقعد فراشه..

لذا تجده قد تكور حول نفسه هكذا..

تاااااااااااااااااك!!!!

ما ذلك الصوت؟!

يفتح عينيه بصعوبة.. على أثر ذلك الصوت، لكنه يغلقهما مرة أخرى.. وخخخخخ ....

تاااااااااااااااااك.. مرة أخرى!!

هذه المرة يفتح عينيه رغمًا عنه، ويتحامل على جسده المرتخي، وينهض ليرى ما هنالك!!

الظلام دامس!!

لقد انقطع التيار الكهربي، عن المتحف!!

- لا بد أن عيبًا ما فى المولدات قد .....

سمعها من صديقه، الذي قالها وابتعد صوته، تدريجيًّا حتى لم يعد يسمعه..

أمسك بالهاتف الخاص به، وأضاء الكشاف الصغير الخاص به، ليبدد ذلك الظلام..

من أين أتى ذلك الصوت؟

هو لا يدري.. يسير فى تؤدة، ليرى ما الذي حدث، يبحث هنا.. ثم هناك.. لا شيء..

ربما كان فأرًا.. أو قطًّا عابثًا، يدور باحثًا حول التحف.

يتقدم بضع خطوات أخرى تجاه الصندوق الزجاجي الخاص بالدمية.. ويبحث حوله..

ما هذا؟!

تصطدم عيناه بالصندوق الزجاجي، فيوجه الكشاف إليه، فيتلقى الصدمة.. إنه فارغ!!

أين ذهبت تلك التحفة؟!.. أين ذهبت الدمية؟!

هل سرقها أحد الزوار؟

لا يعتقد هذا.. وجهاز الإنذار؟! ثم، كيف وهو موجود؟!

إذًا فهذا الافتراض مستحيل أن يحدث..

لكن ربما.. قطع اللص الكهرباء لأجل تعطيل جهاز الإنذار، ومن ثم يتمكن من سرقة ما يريد بكل سهولة ويسر، دون أن يشعر به أحد. ربما.. خاصة وأن

الصندوق لا يوجد به كسر أو خدش، إذًا هناك من قام بفتحه، وسرقة ما فيه

- هذه الدمية اللعينة..

يقولها بصوت عال محدثًا بها نفسه، ثم..

تاااااااااك!!!

ما هذا؟!..

ينظر خلفه، إنه لص.. لا بد أنه لص، لكنه أحمق على كل حال، لص يسرق دمية، قبيحة المنظر، ليس لها قيمة مثل تلك!!

يقبض بيده على مسدسه، لكنه لم يجده!!

هذه مصيبة أخرى!

أين ذهب هو الآخر؟!

يتصبب عرقًا..

لا بد أن ذلك اللص قد سرقه هو الآخر وهو نائم..

إذًا هناك لص، وفوق ذلك فهو مسلح..

يمر ظل من أمامه!! فيفر الدم من عروقه.. يفرك عينيه، ليرى جيدًا، أنه ظل شيء ما.. شيء ما قصير جدًّا، ظل أقرب إلى ظل قزم.. إذًا ليس لصًّا.. فلا يوجد لص بذلك القصر..

فهو أقرب إلى طفل، هل ترك أحدهم طفله هنا؟

تراا ككمممممممم..

تعود الكهرباء إلى المتحف، لا بد أن صديقه قد أصلح العيب، يتقدم بضع خطوات، وهو يرتجف هلعًا، وتتسع عيناه، وهو يقرأ اللافتة التي تذكرها والتي استقرت بدورها أمام الصندوق الزجاجي..

- الدمية ماندي!!!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

كولومبيا بريتش ...

1

لا زلنا فى عام 2012

أنت تعرف كولومبيا بريتش جيدًا، وإن كنت لا تعرف عنها شيئًا فأنا لا ألومك لأنني مثلك تمامًا، لذا دعنا نستمع إلى ذلك المرشد السياحي، الذي انهمك فى شرح كل شيء عنها..

- نحن الآن فى مقاطعه كولومبيا بريتش وهي مقاطعة تقع فى كندا.. بالتحديد فى الركن الجنوب غربي، وتبعد نحو 24 ميلاً عن حدود الولايات المتحدة مع كندا.. وتعتبر من أكثر المدن تميزًا وجمالاً فى العالم..

يتوقف عن الحديث، ليعبئ رئتيه بالهواء ويرى إن كان هناك من يتابعه أم لا، فيجد البعض يعبث هنا وهناك، دون اهتمام، ومن بينهم أنا طبعًا، لكنه يكمل رغم هذا..

- وهي محاطة بالجبال الساحلية والأراضي الزراعية الخصبة لوادي نهر فريزر ومضيق جورجيا..

- هذه حصة جغرافيا لا محالة..

قلتها فى نفسي، وأنا أعبث فى جيوب الحقيبة الخاصة بي، حتى أخرج الكاميرا الخاصة بي، وألتقط عدة صور لتلك المناظر الرائعة..

- ونحن داخل أهم معالم كولومبيا بريتش ألا وهو متحف كويسنيل

وهو من أهم المتاحف فى العالم، فهو يكشف عن بعض أساطير من الدورادو حيث قد نسجت حولها الكثيـر من القصص المختلفة والدورادو هو الاسم الذي أعطى فى البداية على ملك أو زعيم كهنة فى إحدى قبائل أمريكا الجنوبية والذي يقال إنه كان يغطى نفسه بغبار الذهب فى احتفال ديني سنوي يقام قرب سانتا فى دى بوغوتا، وذلك قرب مدينة أسطورية تدعى مانوا..

- ممل..

قلتها وأنا أنسل من بين ذلك الجمع، وأذهب لأتفقد المتحف وحدي..

كلييييك..

التقطت صورة لهذا التمثال..

كلييك.. ثم لتلك القطعة الذهبية، الرائعة الشكل.. ثم.. ما هذا الصندوق الفارغ؟

اقتربت منه، وبدأت أقرأ تلك اللافتة التي وضعت أمامه لتشرح ماهية الشئ المعروض، وبدأت أقرأ ببطء، باللغة الإنجليزية:

- الدمية ماندي..

تبرع أحدهم بتلك الدمية إلى المتحف فى عام 1991، وكانت ملابسها آنذاك متسخة وجسمها متشقق ورأسها ممتلئ بالصدوع. إذ يقدر عمرها بأكثر من 90 عامًا، والقول الذي يشيع فى المتحف حول تلك الدمية هو أنها «تبدو كدمية من الطراز القديم ولكنها أكثر من ذلك بكثير»، المرأة التي تبرعت بالدمية «ماندي»..

كليككك.. صورة أخرى لذلك التقرير، لأقرأه وأبحث عنه فى شبكة الإنترنت لاحقًا..

لكن أين هى تلك الدمية؟!

إن هذا يذكرني بما يحدث فى حديقة الحيوان، عندما أذهب لأشاهد الحيوانات، فأجد نفسي أذهب لمشاهدة الأقفاص الحديدية الفارغة..

بعد مرور ساعة تقريبًا، غلبني الجوع، تحسست الحقيبة، كي أطمئن على وجود الشطائر كما هى.. وخرجت من المتحف إلى الحديقة كي أبحث على مكان ما كي أتناول فيه تلك الشطائر..

أخذت أبحث خارج المتحف، عن مكان ما إلى أن وجدت ذلك الركن، خلف المتحف..

أخرجت الشطائر، وبدأت فى تناولها..

هنا لمحت ذلك الشئ الملقى بين الحشائش!

نهضت، تاركًا الشطيرة من يدي، واقتربت منه بتؤدة، جثوت على ركبتي، لأتفحصه لأجده عبارة عن دمية.. صحيح أنها قبيحة المنظر، لكنها بحالتها، كما هى..

ربما فقدها أحد الأطفال..

التقطتها، ودسستها داخل حقيبتي، وعدت إلى حيث الشطائر..

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

فريق
متميزون
E-BOOK

2

ينظر الحارس إلى اللافتة، ويقرأ ما خط فيها بصوت مسموع..

«الدمية ماندي»!

تبرع أحدهم بتلك الدمية إلى المتحف فى عام 1991، وكانت ملابسها آنذاك متسخة وجسمها متشقق ورأسها ممتلئ بالصدوع. إذ يقدر عمرها بأكثر من 90 عامًا، والقول الذي يشيع فى المتحف حول تلك الدمية هو أنها «تبدو كدمية من الطراز القديم ولكنها أكثر من ذلك بكثير»، المرأة التي تبرعت بالدمية «ماندي» تدعى «ميرياندا» وهي..

تاااااااك!!

يلتفت ثم.. طاااااااااااخ!!،.. سرييييييييييك!!

يدوي صوت الطلقة فى فناء المتحف، ويتبعها صوت تهشم الزجاج..

لقد مرت الطلقة بجواره، لتخترق الصندوق الزجاجي الذي يقبع أمامه!

ذلك المجنون، لا بد أن اللص يبدأ فى استخدام سلاحه، يلتفت ليرى من ذلك المخبول، عندها يصعق!!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

مصر من جديد ....

3

الرجاء من حضرات السادة الركاب ربط الأحزمة..

صدر الصوت من مكان ما بالطائرة آمرًا الجميع بربط الأحزمة، فربط الحزام خاصتي، ثم غبت فى سبات عميق..

لا أعلم كم من الوقت قد مر، وأنا نائم، لكنني نهضت على يد تلكزني برفق فى كتفى كي أستفيق..

نهضت بعين ناعسة، متسائلاً عما هناك، لأجد أمامي تتسمر المضيفة، وتبتسم فى سماجة متصنعة، قائلة: - أنت تعـلم جـيدًا.. حضرتك.. أن حضـرتك، لا يسـمح، بذلك، الشئ..

- ماذا؟

قلتها، بعد أن فركت عينى كي أستفيق، وأعي ما تقوله جيدًا، فأعادت على ما قالته مرتبًا: - حضرتك، لا يسمح، وممنوع منعًا باتًّا، اصطحاب الحيوانات، داخل الطائرة!

- حيوانات!!

- نعم!

- أين؟

- فى حقيبة حضرتك الشخصية!

كدت أن أقول لها إنها مخبولة، لكنني عدلت عن ذلك، لأدبى المفرط، وأضفت: - من قال لك هذا؟

- لقد سمع أحد الركاب أن هناك شيئًا يعبث فى حقيبتك من الداخل!

- إذًا ها هى الحقيبة.

قلتها وأنا أستخرج الحقيبة من المكان المخصص لوضعها بأعلى رأسي، كي أبرهن على عدم فعلى لتلك الجريمة الشنعاء، وعدم سلامة قواها العقلية..

سحبت الحقيبة، ووضعتها أمامي، وفتحتها أمام الجمع، وكأنني حاو ينتظرون منه أن يخـرج أرنبًا أو حمامة، فلم يجدوا سـوى بعض المستلزمات الشخصية، وكاميرا، ودمية قبيحة الشكل!

نظرت إلى المضـيفة، التي نظـرت إلى الرجـل الذي تكـوم إلى جانبي، وطفق يرمقني بخبث واضـح، وكأنها تعاتبـه على وضعها فى ذلك الموقف، الذي جعلها تبـدو حمقاء، ثم ابتسمت فى بلاهـة، وهي تضيف: - آسفة على الإزعاج، أنت تعلم أننا..

وأخذت تبرر لى.. ثم انصرفت، محمرة الوجنتين..

أغلقـت حقيبتي، وعـدت إلى مقعدي، وأنا أنظـر إلى من بجانبي شذرًا..

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

4

يجلس سعيد فى غرفته، وأمامه يقبع برج من الكراريس، والكشاكيل الخاصة بتلاميذه ليصححها..

يعبث فى أنفه، ثم يطلق سبة بذيئة كعادته، يخط بعدها بالقلم الأحمر داخل كشكول أحدهم.. ثم يلقيه بجانبه، ليلتقط آخر، ويفعل معه ذات الفعل تقريبًا..

تدلف أميمة زوجته، بصينية، وضع عليها كوب من الشاي الأسود الساخن، وتزيح بعض هذه الكشاكيل، لتفسح لها مكانًا، وتضيف: - ماذا دهاك؟

دون أن ينظر إليها، يلقى بكشكول آخر جانبه، ويضيف: - أغبياء! ... كلهم أغبياء!

- من هم؟

- هؤلاء التلاميذ.. ليسوا سوى قطيع من الحمير..

تبتسم، ثم تربت على كتفه، وهي تضيف: - آمل ألا تكون هدير مثل هؤلاء الحمير..

يتوقف عما يفعل، ثم يلتفت إليها، قائلاً: - هدير ابنتي أنا.. ابنة مدرس أول لغة عربية.. مستحيل..

- أنا أمازحك..

تقولها، ثم تجلس على المقعد المقابل له، وتلتقط كوب الشاي لتضعه أمامه مباشرة، يأخذه هو بدوره، ويرشف منه القليل، ثم يتركه، وهو يضيف: - هل تذكرين إبراهيم فتحي؟.. صديقي الذي حدثتك عنه مرارًا..

تعبث فى رأسها وهي تحاول استرجاع الذاكرة، ثم تقول: - نعم.. نعم.. أذكره، لكن لمَ؟

شررررووووف..

رشفة أخرى ثم يضيف:

- أريد أن أدعوه فى زيارة على العشاء.. خاصة وأنني لم أره منذ شهر تقريبًا.. وأنه أرمل..

- حسنًا.. كما تريد.. سوف أعد لكم وليمة على العشاء..

قالتها، وغادرت الغرفة..

نهض سعيد، والتقط سماعة الهاتف، وطلب رقم صديقه..

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

فريق
متميزون
E-BOOK

5

تررررررررن..

جلست داخل السيارة الأجرة فى طريقي إلى المنزل، عائدًا من رحلتي الرائعـة فى كولومبيا بريتش.. وأرمق الموجودات من خلف زجاج السيارة.. حين دق جرس الهاتف الخاص بي..

التقطت الهاتف من حقيبتي، وأجبت: - ألوو ...

- إبراهيم.. كيف حالك؟

- من معي؟

- سعيد يا أحمق..

- كيف حالك يا سعيد..

- أنت كيف حالك يا ... سبة لا بأس بها من فيه المتسخ دائمًا..

- أنت مدعو على العشاء الليلة.. وليس لك الحق أن ترفض..

- شكرًا يا سعيد.. لكنك لا تعلم أنني للتو..

لم يدعني أكمل، وأضاف فى دعابة سمجة مثله تمامًا: - هذا استدعاء رسمي، يا إبراهيم.. ثم إن أميمة، أعدت لنا وليمة لا بأس بها.. ولن أقبل اعتذارات..

- مم ... حسنًا.. إن شاء الله.. سوف ...

قاطعني:

- أنتظرك حالاً..

قالها، ووضع سماعة الهاتف..

أغلقت هاتفي، وجعلت السائق يغير وجهته إلى منزل سعيد..

الحق أنني كنت جائعًا، وكنت أحمل على عاتقي عبء إعداد العشاء..

فإن مسألة إعـداد الطعـام مشكلة، وهم لا يشعر به إلا من عاشه وذاقه..

لكن هناك مشكلة الهدايا..

لا بد أن آخذ هدية لابنته، التي نسيت اسمها..

فتحت حقيبتي، لأجد الدمية تنظر إلى بعينين تحملقان..

ابتسمت، وقد علمت ما هى الهدية التي سوف آخذها لها..

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

6

وفى شقة سعيد جلسنا نتناول طعام العشاء بنهم..

ونثرثر فى كل شيء..

بفم ملىء بالطعام، أضاف سعيد:

- أين كنت هذه المرة؟ يا إبراهيم؟

- هناك!!

- هذه إجابة تنم على ذكائك كالعادة..

- أقصد فى كولومبيا بريتش..

نهضت، أميمة، وحملت الصحون فارغة، ودلفت إلى المطبخ..

نهضنا بدورنا، لنأخذ الشاي فى غرفة المعيشة..

أتت هدير لتتمسح فى أبيها، بخجل وترمقني..

أمسكت بحقيبتي، لأخرج منها الدمية.. وأناولها إليها بابتسامة، وأضيف: - خذي هذه منى، لقد أحضرتها لك من كولومبيا بريتش..

دون كلمة واحدة تناولت الصغيرة الدمية، وهرولت لتتوارى إلى الداخل..

ابتسم سعيد، وشكرني، ونادى على أميمة لتحضر الشاي ...

احتسينا الشاي سويًّا، ونظرت إلى ساعة الحائط لأجدها الواحدة صباحًا، فنهضت، شاكرًا، إياهم على تلك العزومة، ومن ثم انصرفت عائدًا إلى شقتي..

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

بداية المتاعب..

7

دلفت هدير إلى الداخل، وهي تمسك بالدمية، وتلقى بها على فراشها،

وتضيف:

- من الآن فصاعدًا أنت صديقتي المفضلة..

- وأنت كذلك!!

حملقت هدير فى الدمية، وهي تحرك شفتيها، وتبتسم، فابتسمت هى الأخرى، وهي تضيف: - نعم أنا كذلك..

- أنا هدير، وأنت؟

- ماندي!!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

8

الشمندوري.. عمران الشمندوري.

جزار المنطقة هكذا يلقب نفسه، ويقول إنه يبيع لزبائنه أجـود اللحوم، وذلك بما يرضى الله.. لو نظرت له ستجده بدينًا، متسخًا دائمًا، تخطى الستين تقريبًا..

يفتح جزارته فى العاشرة صباحًا، ويغلق فى السابعة والنصف مساءً..

لديه صبي، هو ابن أخته يدعى منعم، يساعده فى كل شيء، يقول إنه ذراعه اليمين، إن لم يكن ذراعيه الاثنين..

هو من يفتح له المحال، ويغلقه أيضًا..

يبيع كل أنواع اللحوم الطازجة، ثم إنه يبيع بالتسعيرة.. لأنه يبيع بما يرضى الله..

هكذا يقول، وهكذا يتملق نفسه..

فى ذلك اليوم بالتحديد لم يأت منعم، ليفتح الحانوت، مما جعل يحيى يذهب هو بنفسه مبكرًا ليفتحه، ويبيع وحده..

بعد يوم شاق من البيع ولم الغلة يخرج ليصرخ فى شفيق القهوجي كي يحضر له كوبًا من الشاي الحبر، ومعه شيشته المعتاد عليها، ثم يجلس ليلتقط أنفاسه، يهرع ذلك الشفيق إلى الداخل، ويحضر له ما يريد، ويضعه أمامه باحترافية لا مثيل لها..

يشكره بصفعة على قفاه، ولسعة من اللي الخاص بنرجيلته، فيأخذ شفشق ذيله فى أسنانه ويفر من أمامه.. وهو ينعته بالكثير من السباب فى نفسه..

يلتقط الشمندوري فم الشيشة، ويبدأ فى شحن الربو إلى صدره.. فى استمتاع..

ثم يرشف من كوب الشاي..

بالنسبة إليه هذه هى الحياة الهانئة حقًّا..

يفرغ من كل هذا، ويبدأ فى إنزال اللحوم من أماكنها لإعادتها داخل الثلاجات، وهي عملية شاقة للغاية، كان يفعلها بدلاً منه منعم، الذي مرض اليوم..

يفعل ذلك فى ساعتين، ويجلس ليلهث، ويطلق سبه فى الهواء للا شيء وكل شيء، ثم يطلق أخرى لمنعم، الذي لم يأت..

ينظر إلى ساعة الحائط ليجدها الثانية عشر بعد منتصف الليل..

لقد مر دهر عليه، دون أن يكون متواجدًا فى جزارته لمثل ذلك الوقت، تبًّا لمنعم.. ثم يطلق سبة أخرى..

تاااااااك!!

ما هذا؟!

لا بد أنه ابن عرس.. فهناك الكثير منهم..

يلتفت فى تؤده، ليرى ذلك الظل الصغير، يهرول ليتوارى بين الثلاجات!

ظل أقرب إلى ظل طفل.. يبتسم فى خبث، ويضيف إذًا هناك من يريد العبث مع عمران الشمندوري، ينهض فى صعوبة بالغة، ويتجه إلى حيث توارى الظل، يلتقط سكين اللحم، فى طريقه، ثم.. بخخخخخ..

يقولها مازحًا بفم التهم أسنانه السوس، فلم يجد أحدًا..

- شمندووورييييى..

- من؟

يقولها وهو يلتفت ليرى صاحب الكلمات، فيتصلب مكانه، من هول ما رأى، ودون كلمة أخرى كان الخطاف الذي يعلق عليه اللحم ينغمس فى رقبته، ليخرج من قفاه، ويرسل به إلى العالم الآخر، ويصبح كومة من اللحم المعلقة فى جزارته!!!!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

9

جابر المندور..

عم جابر المندور.. صاحب حانوت، أو كما يحلو للبعض، بقالة.. صحيح ليست فخمة، لكنها تؤدى الغرض..

يقول لنفسه، ما دام الجميع يحتاجني، وبضاعتي لا يطولها الكساد، فلن أغلق إلى أن أموت..

بضاعته كل شيء.. الجبن، واللانشون، والحلوى.. الكثير منها، ولفافات التبغ.. الكثير منها أيضًا.. والصابون السائل.. وماء نار!!

يقول إن الكثير يطلبونها للتنظيف، يعلم أنها خطر، لكنه لا يعطيها إلا لمن يعرفه جيدًا..

إن عم جابر يجعلك تتذكر أيام زمان حقًّا، فقط مر من أمام حانوته وستتسلل إلى أنفك أعظم روائح الجبن المخلوط بكل شيء..

صحيح أن معظم زبائنه أطفال، وهو يمقت الأطفال، إلا أنهم يكسبونه، وهم من يجعلونه لا يغلق حانوته إلا بعد منتصف الليل.. حتى آخر فأر يدخل إلى جحره.. هكذا يقول، وهكذا يصف الأطفال..

أما ما حدث معه تفصيلاً فهو الآتي ...

يجلس وحده ليلاً، يشاهد التلفاز العتيق، الذي علقه فى ركن الحانوت، فى استمتاع، ينظر إلى الخارج، ليجدها تمطر، يقشعر جسده، وينظر لساعته، ليجدها الواحدة صباحًا، لقد تأخر كثيرًا اليوم، لكنه مقطوع من شجرة فإن جلس هنا إلى الأبد فلن يسأل عليه أحد..

ينهض فى تؤده، ليغلق التلفاز، ويتثاءب، هنا تتسرب إلى أنفه رائحة الصابون..

يتحرك بخطى متثاقلة كالروبوت، بين بضاعته، ليجد مصدر الرائحة، فيجد أن زجاجات الصابون السائل قد تم فتحها، وسكبها على الأرض، من فعل ذلك؟

يجثو، على ركبتيه، ليتفحص المشهد بوضوح، فتتفلت قدماه، وتذل ليسقط على ظهره، متوجعًا..

يتألم من فرط سقوطه، هنا تتسع حدقة عينيه، يفتح فمه ليصرخ، فيتدفق السائل الشفاف «ماء النار»، إلى فيه، ثم إلى أمعائه مباشرة ليحللها، وليسكته إلى الأبد!!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

فريق
متميزون
E-BOOK

10

هـديـر ...

- لقد ساءت أحوال ابنتك منذ قدوم تلك الدمية اللعينة إلى هنا، لقد صارت تجلس إليها أكثر مما تجلس معي، والأمر الأسوأ أنها تتحدث إليها كأنها تعي ما تقوله لها..

قالتها أميمة، وهي تجلس على المائدة جوار زوجها سعيد، الذي انهمك فى قراءة الجريدة اليومية دون أن ينظر إليها..

- أتسمعني يا سعيد..

- هممممم..

- سعيد..

- خيرًا يا حبيبتي..

- لقد كنت أحدثك..

- عذرًا كنت منهمكًا فى ذلك الخبر، وذاك..

- منذ متى تهتم بتلك الأخبار التي فى الجرائد..

قالتها وهي تلتقط شطيرة، وتضعها فى فيها، وتلوكها..

فنظر إليها سعيد، وهو يضيف:

- شمندوري.. الجزار الذي يقبع فى آخر الشارع، قد وجدوه مقتولاً داخل جزارته فى ميتة بشعة بالفعل، وكذا عم جابر البقال، الذي تبتاعين منه أغراض البيت..

- ماذا دهاه هو الآخر..

- لقد تحللت أمعاؤه ووجدوا جثته فى بقالته، بعد أن ابتلع ماء النار..

- ماء النار!!

- هناك سفاح إذًا فى المنطقة!!

قالتها وهي ترتعد، فارتعد هو الآخر من كلماتها الأخيرة، وأضاف: - فأل الله ولا فألك.. اصمتي، وتناولي الفطور فحسب..

قالها، وأخذ يكمل قراءة الخبر، فأضاف: - إنهم يقولون إنهم قد عثروا على بصمات داخل الحانوت، والجزارة تبدو كأنها بصمات ليد طفل.. توقف عن الحديث ليمط شفتيه لأسفل، ويتنهد، ثم يغمغم: - شيء غريب.

عندها يتذكر ابنته، فيضيف:

- كنت تحدثينني عن هدير.. ما بها؟

- كنت أقول كانت أحوالها قد ساءت منذ قدوم تلك الدمية اللعينة إلى هنا، لقد صارت تجلس إليها أكثر مما تجلس معي، والأمر الأسوأ أنها تتحدث إليها كأنها تعي ما تقوله لها..

هههاهها..

ابتسم سعيد، وأضاف:

- أنت تغارين على ابنتك من الدمية..

- أنا لا أغار.. صدقني لقـد سمعتها مرارًا تتحدث إليها، وكأنها تعي ما تقوله لها هدير..

- هل تتجسسين على طفلتك؟

- نعم، حتى أعلم ما الذي تفعله..

- إطمئني، على نفسك أولاً، فأنت فى طريقك إلى الخبال يا حبيبتي..

- أنا لا أمزح..

- حسنًا دعى هذا الحديث جانبًا أو حتى أعود من المدرسة، فقد تأخرت

قالها، وهو ينهض كي يغادر، المنزل، فى طريقه إلى مقر عمله..

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

فى منزل سعيد تجلس أميمة لتتناول الفطور، وتنادى على هدير، التي، لا تجيبها..

هدييييير..

تصيح أميمة مرة أخرى، ثم تنهض تاركة كل شيء، متوجهة بخطوات، متسارعة إلى حجرة ابنتها هدير، وتضع، أذنها على الباب، وتصغى السمع إلى الداخل..

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

- أين كنت بالأمس؟ لقد نهضت فلم أجدك إلى جواري!

تقولها هدير، محدثه بها شخصًا آخر..

تمسك أميمة بمقبض الباب لتفتحه، لولا أن منعها سماع صوت آخر، يتحدث إلى ابنتها قائلاً: - كنت أتخلص من اثنين ممن تبغضين!!

قال الصوت ما قال، فارتجفت أميمة هلعًا، وأدارت مقبض الباب، لتفتحه، وتدلف إلى حجرتها، لتجد ابنتها تجلس أمام الدمية، وتحدثها!

- مع من كنت تتحدثين يا هدير؟

قالتها أميمة، وهي ترتجف، فأشارت هدير إلى الدمية، وأضافت: - إنها ماندي، دميتي!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

الدمية ماندي..

فى منزلي.. أجلس أتفقـد الصـور التي التقطتها فى رحلتي الأخيرة، فأرى ذلك الصندوق الزجاجي الفارغ، ثم اللافتة والتقرير الذي كتب أمامه، أقرب الصورة من عينى كي أتمكن من القراءة، فلا أرى شيئًا، أتركها، واذهب إلى جهاز الحاسوب، وأفتحه، وأدخل إلى الشبكة العنكبوتية، باحثًا عن، الدمية ماندي..

نعم ها هى..

ما هذا!!

إنها هى!!

ربما تشبهها، لكن.. إنها هى الدمية التي وجدتها فى حديقة المتحف..

بصوت مسموع بدأت أقرأ ما ظهر أمامي..

الدمية ماندي..

تبرع أحدهم بتلك الدمية إلى المتحف فى عام 1991، وكانت ملابسها آنذاك متسخة وجسمها متشقق ورأسها ممتلئ بالصدوع. إذ يقدر عمرها بأكثر من 90 عامًا، والقول الذي يشيع فى المتحف حول تلك الدمية هو أنها «تبدو كدمية من الطراز القديم ولكنها أكثر من ذلك بكثير»، المرأة التي تبرعت بالدمية «ماندي» تدعى «ميرياندا» وهي التي أخبرت أمين المتحف أنها كانت تستيقظ فى منتصف الليل على صوت طفل يبكي فى القبو، وعندما تحققت من مصدر الصوت وجدت باب النافذة مفتوحًا بالقرب من الدمية والهواء يتلاعب بالستارة أمامها بالرغم من أن باب النافذة كان مغلقًا سابقًا. كما

أخبرت أمين المتحف لاحقًا بأنها لم تعد تسمع صوت بكاء الطفل فى الليل بعد أن وهبت تلك الدمية لهم!!

البعض يزعم بأن لماندي قـوى غير عادية أو يبدو أنها اكتسبت تلك القوى بمرور السنين الطويلة، ولكن بما أنه لا يعرف إلا القليل عن تاريخ تلك الدمية فلا يمكن أن نكون متأكدين بدقة عما حدث!!

انتهيت من القراءة على الشاشة، والعرق يتصبب من كل أنحاء جسدي..

إنها هى، ذات الملابس، وذات الشقوق فى رأسها.. لقد أعطيتها بنفسي لابنة سعيد..

لا بد أن أتصل به، لأحكي له كل شيء.. أخذت الهاتف، وبدأت فى الاتصال بسعيد..

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

سعيد..

يقف سعيد داخل الفصل ممسكًا بعصًا طويلة، ومشيرًا بها على بضع كلمات قد خطها مسبقًا على السبورة..

يتحدث تلميذ إلى آخر، فيلتفت سعيد ليراهم فيأمرهم أن ينهضا، ويذهب إليهم، ليلهب كفيهما بعصاته، يدق هاتفه الشخصي فى حقيبته، فيلتقطها تلميذ ليعطيها إلى سعيد، وهو يضيف: - التليفون يا أستاذ..

يلوح سعيد بدوره بالعصا ليحمر يد الطفل، ويضيف: - وما دخلك أنت أيها ال-«.....»

يقولها وهو يلتقط منه الحقيبة، ليخرج الهاتف، ويجيب: - ألوو، من معي..

- أنا إبراهيم يا سعيد..

- صديقي اللدود.. كيف حالك؟

- بخير حال، والحمد لله،.. أود أن أخبرك بشيء خطير.

- ماذا هناك؟

يقولها، وأسمعه، يصرخ فى أحد التلاميذ: - اخرس يا محمد يا سيد، والله العظيم لـ.....

قاطعته قائلاً:

لن يفيد الهاتف يا سعيد، سوف آتى إليك اليوم..

يتنهد قائلاً:

- عذرًا يا إبراهيم، أنت تعلم..

- أعلم أعلم.. لكن الأمر جلل، لذا سوف آتى إليك، الليلة فى المساء..

- إنه بيتك، يا صديقي، على الرحب والسعة..

- سلام.

- سلام..

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

أميـمـــة..

تقترب أميمة من الدمية بخطوات مرتعشة، وتمسك بها، لتراقبها عن كثب، مجرد دمية كأي دمية مصنوعة من مادة البلاستيك، لكن ماذا عن الصوت الذي صدر من خلف الباب..

تنظر إليها فى حذر ثم تصفعها عدة صفعات بيدها اليمنى، وتعيد النظر إليها، كي تشاهد ردة الفعل..

عندها تجد الدمية، بالتحديد منطقة الفم تذرف دمًا!!

تفلتها من يدها، وتتراجع إلى الخلف، لتلتصق بالجدار، بعد أن أطلقت سارينة مدوية من فيها، معلنة عن موتها هلعًا..

تتقدم بضع خطوات مرة أخرى، وتلتقط الدمية، وتذهب فى اتجاه الشرفة، وتطوح بها إلى الطرقات.. ثم تغلقها لتلتقط أنفاسها المتلاحقة..

تتذكر، زوجها سعيد، فتهرع إلى هاتفها، لتطلبه..

ويدور بينهما ذلك الحوار..

- ألو.. سعيد..

- أميمة، حبيبتي..

صوت أميمة يلهث، ويقول بصوت متقطع أفقد الكلام ترتيبه: - الدمية.. هدير، دمًا..

- ماذا؟

تلهث مرة أخرى، وتصمت برهة كي ترتب ما تقول، وتضيف: - الدمية التي أعطاها صديقك هذا إلى هدير.. تنزف دمًا من فمها!، وتتحدث إلى هدير!

- .....

- سعيد.. أتسمعني؟

- أميمة، عندما تريدين المزاح انتظرى عودتي إلى البيت، أما الآن فلدى حصة..

- أنا لا أمزح..

تقولها فى جدية، وتضيف:

- لقد ألقيت بها من الشرفة.

- صدقيني يا أميمة لدى حصة الآن، انتظريني، وسوف نتحدث على راحتنا..

قالها، ثم أغلق الهاتف، ودلف إلى الفصل، لقضاء حصته..

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

عندئذ نرى الدمية، التي ألقت بها أميمة من الشرفة، وكأن الحياة قد دبت فيها.. تتحرك بتؤدة، وتنهض!!!

ثم تقف على قدميها.. «تتحرك بطريقة ميكانيكية ملحوظة»، تنظر يمينًا، ويسارًا، ثم تبدأ فى السير بذات الحركة الميكانيكية لتختبئ خلف صندوق لجمع القمامة، حتى يحل الظلام!!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

فى بيت سعيد..

يجلس سعيد فى بيته، وأمامه زوجته، يتبادلان الحديث..

- صدقني يا سعيد هذه الدمية مسكونة ببسم الله الرحمن الرحيم ...

- أنت تخرفين يا حبيبتي.. تشاهدين الأفلام، ثم تهلوسين بعدها..

أنا لا أخرف.. هذا ما حدث..

- نعم.. نعم بكل تأكيد..

- إن ابنتك لا تحب اللبن، وأنت تعي ذلك، لقد وجدت الإناء الخاص به فارغًا ذلك الصباح، هل لك أن تفسر لى كيف؟

- أنت من شربه.. هكذا ببساطة..

- لم أشربه.. أقسم لك أنني لم أشربه..

تن تن تن تن

يدق جرس الباب..

تهم أميمة بفتحه، ليدلف إبراهيم فتحي، الذي هو أنا إلى الداخل..

- كيف حالك يا إبراهيم؟

- يقولها سعيد، وهو يتقدم نحوي، ويمد يده ليصافحني.

أصافحه بدوري، ثم يقتادني إلى الداخل لنجلس فى غرفة المعيشة، بعد أن طلب من زوجته أن تعد لنا كوبين من القهوة.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

جلست على المقعد، وبدأت أقص عليه ما توصلت إليه..

- بداية أعلم أنك لن تصدقني، لكن هذا ما حدث، بالضبط..

تغيرت ملامح وجهه، وبدت عليه علامات الاهتمام بما سأقول، فواصلت حديثي قائلاً: - الموضوع يخص تلك الدمية التي أهديتها لابنتك، التي نسيت اسمها..

منذ أيام كنت فى رحلة إلى مقاطعة كندية، بالتحديد فى كولومبيا بريتش، وزرت متحفًا هناك يسمونه متحف كويسنيل.. أثناء زيارتي لذلك المتحف، والتقاطي لعدة صور بداخله، لمحت صندوقًا زجاجيًّا فارغًا!

قرأت اللافتة الخاصة بالشيء المعروض بداخله، فوجدتهم يقولون: إن داخله دمية غريبة الأطوار.. اسمها ماندي!

- ماذا تقصد بغريبة الأطوار؟

- قالها باهتمام، فأجبته:

- يقولون إنها كانت تبكي!

قلتها وأضفت:

- أخذت ذلك الاسـم، وبدأت أبحث عنه على الشبكة العنكبوتية عندما جئت إلى مصر..

أبدل من جلسته، وتنهد، فواصلت:

- لكن قبل ذلك وفى حديقة ذلك المتحف، وجدت دمية قبيحة المنظر، فأخذتها وجلبتها معي إلى مصر، ثم إلى ابنتك..

- ما لذى تق- ...

- دعني أكمل فحسب..

قلتها مسكتًا إياه، فصمت، فاسترسلت:

- أعود بك إلى عملية البحث على الإنترنت، وإذا بي أجد صورًا لتلك الدمية، تدل على أنها ذات الدمية، التي جلبتها إلى ابنتك.

أنهيت حديثي، فإذا بزوجته تدلف إلى الخارج، صارخة: - الم أقل لك وأنت لم تصدقني..

نظرت إليها متعجبًا، وأضفت:

- عذرًا ما الذي أخبرتيه إياه، هل بخصوص ما قلته؟

- نعم هو ذا..

- نظرت لسعيد، الذي جلس ك- «الأطرش فى الزفة» ثم إلى زوجته، وأضفت متسائلاً: - هل من الممكن أن تخبريني بما حدث تفصيلاً؟..

قلتها وجلست لتقص على ما حدث وهو ما قرأته منذ قليل، لذا دعني أستمع إذًا..

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

جريمـة أخـرى..

كانت صفية مبروك دادة تعمل فى حضانة «.....»، غير متزوجة.. تمقت الرجال.. بدينة للغاية.. تحب بل تعشق الطعام عشقًا..

كل الأطفال تمقتها تقريبًا..

يفر من أمامها فأر عابث، فتصرخ:

فئران.. هذه الكائنات القبيحة..

تقولها، وتذهب إلى المطبخ، لتخرج منه علبة، خط عليها «سم قوى للفئران»، تراها وتبتسم، وهي تضيف: سوف أعد لك وجبة لا بأس بها، وبعدها، تصبح كرة من الفرو..

بعد قليل نرى فأرًا مكومًا على الأرض دون حراك، وبجانبه قطع من الجبن الرومي مسموم كان يأكله..

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

بعدئذ نراها، تمسك، بحقيبة ما تخص فتاة، وتعبث بداخلها كي تخرج كيسًا من الساندويتشات، ثم تبدأ فى ازدرادها، واحدًا تلو الآخر.. وهي تبتسم.. وكأن متعة الحياة فى التهامها لتلك الساندويتشات..

تنهض دون متاعب رغم كل ذلك الدهن.. لتواصل سرقة الساندويتشات من الحقائب.. تمسك بأخرى، وتعبث بها، لتخرج صيدها الثمين، وتضعه إلى جواراها وتبدأ فى التهامه وهي ترمق المكان بعين زائغة كلص محترف، فتلاحظ وجود شيء غريب!!

شيء غريب لم يكن موجودًا منذ لحظات!!

تترك ما كانت تفعل، وتنهض لتذهب إليه لتجد أنه ليس سوى دمية قبيحة الشكل، ملابسها متسخة، تجلس على الأرض، بجانب الباب الخاص بالحضانة، تقترب منها، ثم تجلس القرفصاء، لتنظر إليها، وتضيف: - يا للقرف، ممن سقطت، أيها القذرة؟

إن مكانك ليس هنا..

- تقولها ثم تمسك بها من ملابسها، ودون كلمة أخرى تلقى بها فى سلة المهملات..

يصرخ بعض الأطفال، وتنشب معركة بينهم..

تزأر صفية، وتذهب كالنمر المفترس، تجاه الأطفال..

عندها نرى تلك الدمية، تتحرك، وتخرج من السلة، وتسير إلى حيث الفأر الذي لقى حتفه، وتلتقط قطع الجبن الرومي من جانبه، وتذهب إلى حيث ساندويتشات صفية، وتحشوها بها، وتسكن حركتها مرة أخرى.

تعود صفية بعـد أن التهمت الأطفـال، لتجـد الدمية بالقـرب من الساندويتشات!

تنظر لها بقرف، وتشكك، ثم تلتقطها، وتطوح بها من نافذة الحضانة، وهي تضيف: - الآن لن أراك أبدًا..

تقولها، وتذهب لتواصل أكل الساندويتشات المسمومة!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

- وبعد ذلك؟

قلتها لمدام أميمة زوجة سعيد، فأضافت: - تخلصت منها، وألقيت بها من الشرفة..

نظر سعيد إليها غير مصدق لما يحدث، وأضاف: - أنت قلت إنك سمعت الدمية، وهي تتحدث إلى هدير، وتخبرها أنها قد تخلصت ممن تكرهه هدير..

- نعم.. أقسم لك أن ذلك حدث..

- لا داعي لأن تقسمي يا مدام أميمة، فنحن نصدقك، لكن معنى كلامك هذا أن هناك ضحيتين، قد لقيا حتفهما و ...

- هناك آخرين.. يا لها من كارثة..

قلتها، وقاطعني سعيد بهذه الأخيرة، وهو يضيف: - لا بد أن نتحدث إلى هدير نفسها..

قالها وهو ينهض ليذهب إلى حجرة هدير، ويدعوني إلى الدخول معه، أبيت هذا، بداعي أن ابنته، لا تحبني، و ...

انتظر!!.. لقد قلت إن ابنته لا تحبني، إذًا أنا من بين قائمة الضحايا، اللذين لم يحالفهم الحظ ليموتوا!

فنهضت بسرعة كالملسوع، واتجهت معه إلى غرفة ابنته..

فى البداية حملها ليحتضنها، ثم أجلسها على فراشها، وهو يبتسم، وبدأ فى استجوابها..

أنت تعرف الأطفال جيدًا، لا يبتل فى فمهم الفول، لذا راحت تقص علينا كل ما حدث معها بالتفصيل الممل، حتى نام منى سعيد، وكأنها تقص عليه حدوته قبل النوم، لكزته فى كتفه كي يصحو، فأضاف: - إذًا من كنت تكرهينه يا هدير، يا حبيبتي؟

قالها فتبادلت هى النظرات معي ومع أبيها، ثم شرعت، تخبرنا بقائمة المكروهين فى حياتها..

- عمو جابر بتاع الحلوى، والرجل شبمبورى الجزار و ...

- من؟!

قالها سعيد، بعد أن تبدلت ملامحه، فأعادت عليه: - عمو جابر بتاع الحلوى، والرجل شبمبورى الجزار و ...

قالتها فنظر إلى، وأضاف:

- لقد لقى الاثنان حتفهم بالفعل أمس، لقد قرأت الخبر صباح اليوم فى الجريدة اليومية، والغريب أنهم ذكروا أن هنالك بصمات تبدو وكأنها بصمات ليد طفل سواء فى محل البقالة أم الجزارة!

- إذًا ما قالته زوجتك وهدير يحدث بالفعل..

- أكملي يا هدير..

- قالها أبوها فأضافت:

- ودادة صفية التي تشبه الفيل.. و...

ثم صمتت، وهي تنظر نحوي..

بالطبع لا داعي كي تخبرني أنني من ضمن تلك القائمة السوداء، فهذا شيء واضح منذ أن قابلتها، رغم أنني ابتعت لها هدية، ابتسمت، وأضفت: - وأنا طبعًا، عمو إبراهيم.

هزت البنت رأسها موافقة، وأضافت:

- والعمة سلوى، وعم عبيدة الذي يبيع الفول، وكذا عم ...

- كفى يا هدير.. كفى، أنت تكرهين العالم بأثره.

قلتها وأنا أنظر إلى سعيد مضيفًا:

- إذًا فهذه الدمية تقتل بالترتيب..

- ماذا، أقصد أنها تخلصت من الجزار والبقال وهي الآن فى طريقها للتخلص من الدادة صفية، ثم منى أنا للأسف، وهكذا..

- وما العمل؟

- لا شيء سوى أن نجدها، وقد ألقت زوجتك بها من الشرفة..

- غبية..

- من هى؟

قالتها زوجته التي وقفت خلفنا لا ندرى متى؟ لتسمع ما نسمع

فأضاف:

- الدمية طبعًا..

قالها وأضاف:

- إذًا نبدأ فى البحث عنها..

- لن يحدث، ولن يجدي.

- لماذا؟

- لأننا لن نجدها بكل سهولة، فلن نسأل القاصي والداني عن دمية تسير وحدها فى الطرقات، هذا شيء، والشيء الآخر أننا سنضيع الوقت، وبالتالي جرائم أخرى.

- إذًا ما العمل؟

قالتها زوجته، فأضفت:

- إن كان ما كوناه من نظرية عن تلك الدمية صحيحًا، فهي الآن ستحاول الذهاب إلى حيث الدادة صفية.. وبالتالي التخلص منها، لذا..

- نذهب نحن إليها أولاً..

قالها سعيد مقاطعًا، فأضفت:

- هذا إن لم تكن قد سبقتنا إليها.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

على مدخل العمارة التي تحوي حضانة أطفال الجنة.. وقفنا ننقد سائق السيارة الأجرة نقوده، ونشاهد حشدًا لا بأس به من رجال الشرطة، ومن الناس، الذين تجمهروا أمامها!

نظرت لسعيد، وأضفت:

- لقد حدث ما كنا نخشاه.

أماء سعيد برأسه وأضاف:

- وما العمل؟

- دعنا نذهب لنرى ما الذي حدث أولاً..

قلتها، وطفقنا نحشر أجسادنا، وسط تلك الجموع لنرى ما يرون..

سألت أحدهم فى خبث عما يدور، فأجابني: - سكتة قلبية، سيدة ماتت بالهارتى أتاكم..

- تقصد هارت أتاك..

قلتها مصححًا فنظر إلى فى حنق، وأشاح بوجهه بعيدًا.

بعد ذلك سوف نقرأ ذلك الخبر فى الصحيفة اليومية، وسنعرف أن الذي حدث ليس سكتة قلبية بل إن تلك السيدة قد ماتت مسمومة بسم الفئران، أما الآن، فنحن لا نعلم شيئًا عن ذلك..

تقدمنا قليلاً حتى اتضح لنا كل شيء، فأضاف سعيد: - إنها هى، لقد علمتُ من أحدهم، لقد تخلصت منها هى الأخرى..

- من هى؟

قالها شخص بجانبنا، فأضفت:

- لا شيء.. لا شيء

قلتها، وأنا أجذب سعيد، الذي أضاف فى هستيريا: - الدور عليك الآن، سوف تقضى عليك أنت الآخر!

- لن يحدث، لا تقلق.. سوف أخبرك بكل شيء، لكن ليس هنا..

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

فى بيتي..

جلست أنا وسعيد، وأخذت أشرح له ما سنفعله تمامًا..

وعندما فرغت أضاف:

- إذًا ستنتظرها..

- نعم.. والآن دورك هو أن تذهب لتحضر ما أخبرتك به، وكذا تتصل بزوجتك كي تخبرها بألا تسمح لهدير بالخروج من البيت، وألا تفتح الباب لأي سبب من الأسباب.

أمسك بهاتفه، وبدأ فى الاتصال بزوجته وإخبارها بما قلته حرفيًّا، وبعد أن أنهى مكالمته، انطلق خارجًا من شقتي، وجلست أنا لأنتظره..

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

- عظيم..

قلتها لسعيد، وأنا أفرز ما أحضره، محدثًا نفسي.. هذا الدلو، وهذا الصندوق الخشبي.. و...

فأردف:

- أرجو أن يفلح هذا..

- سيفلح إن شاء الله.. والآن علينا أن ننتظر..

هرش فى فروة رأسه، وأضاف:

- حتى الآن أنا لا أصدق ما يحدث!!

- لك كل الحق، لكنه يحدث..

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

تثاءبت قائلاً وأنا أنظر إلى ساعة الحائط وأضع يدي على فمي: - لقد صارت الواحدة صباحًا، ولم يجد جديد، سوف أدلف إلى الفراش

قليلاً، وأنت كن يقظًا، وإن أردت أن تنام، أيقظني..

فربما كنا مخطئين..

نهضت متثاقلاً كالروبوت، وفركت فى عينى، ودلفت إلى الفراش..

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

لا أعلم كم من الوقت قد مر، وأنا تحت الغطاء نائم..

تناهى إلى مسامعي صوت يقول:

- إبرااهيييييم.. أين أنت؟

صوت مغر قادم من عالم سحيق.. صوت شخص، وكأنه يلهو..

لك أن تتخيل ذلك المشهد..

الظلام يعم الغرفة، بل الشقة بأكملها إلا من الضوء الواهن، القادم من الأباجورة الموضوعة على الكومود، الخاصة بغرفتي.

ثم تسمع ذلك الصوت..

بالطبع علمت أنها هى، وأن الدور على قد حان..

- إبرااهيييييم!!

يدوي الصوت مرة أخرى معلنًا عن اقترابه، فأرتعد، مناديًا بصوت واهن: - سعيد.. أيها الغبي لا بد أن النوم قد غلبه..

رفعت الفراش برفق، كي أتبين مصدر الصوت هنا.. لمحتها!

كانت دميمة، قبيحة بشكل لا يوصف، ملابسها قذرة بشدة، لكن منظرها لا يوحى بكل ذلك الرعب..

أزحت الغطاء عنى بالكامل، لأجد سعيد يقف عند الباب، ممسكًا بالدلو الذي ابتاعه، ويتقدم إلى الداخل بحذر، حتى يقف خلفها تمامًا، ثم يقلبه رأسًا على عقب فوقها لتستقر داخله، صانعًا منه شركًا لها..

- أحسنت، يا سعيد..

قلتها وأنا أهرول خارجًا من الغرفة وعائدًا إليه بصندوق من الخشب..

- الآن..

قلتها وأنا أضع يدي تحت فوهة الدلو بحذر وألتقط الدمية من ملابسها، ثم جذبتها إلى الخارج بسرعة، ودسستها داخل الصندوق الخشبي، وأغلقته..

أمسك سعيد بجاكوش، وعدة مسامير، وبدا فى تثبيتها فى سقف الصندوق، كي يمنع فتحه إلى الأبد..

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

فريق
متميزون
E-BOOK

الخــاتمـة

كانت الطريقة الوحيدة، التي توصلنا إليها للقضاء على تلك المصيبة، هى إحراق الصندوق، بمن فيه.. أو الأدق بما فيه..

لذا تجدنا نستقر داخل سيارتي، فى طريقنا إلى الصحراء..

وبالفعـل، وعنـد انتهاء العمـران، وفى الصحراء المؤدية لطريق الإسكندرية توقفنا، خرجنا من السيارة.. وضعنا الصندوق على الأرض، وسكبنا فوقه الكثير من الجازولين، ثم أشعل سعيد عود ثقاب، ووجهه تجاه الصندوق، لتشتعل فيه النيران..

وقفنا نتأمل ذلك المشهد ومعه بزوغ الفجر، ونستمع إلى صراخ شنيع يمزق الأذن، كأنه قادم من سقر ذاتها، حتى صار كومة من الرماد..

وانتهى كل شيء..

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

فى منزل سعيد..

جلسنا نتناول الفطور، وأخذ هو يقص على زوجته ما حدث تفصيلاً..

تن تن ...

دق جرس الباب.. فنهضت أميمة لتفتحه، وإذا بها تتهلل، وتضيف: - أبى..

تقولها وهي تحتضن كهلاً، لم أتبينه، ثم تصيح: - إنه أبى يا سعيد..

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

نهضت ونهض سعيد بدوره، مرحبًا بالرجل، الذي دلف إلى الداخل حاملاً الكثير من الحقائب..

جلس على أقرب مقعد مناديًا على هدير، التي ركضت ناحيته، لتحضنه وتلثمه عدة لثمات، فمد يده إلى حقيبة ما وأخرج صندوقًا للهدايا، وأعطاه إياها، فهشت وبشت، وسألته عن فحواه..

فتبسم الرجل، وهو يضيف:

- إنها دمية كما طلبت منى يا حبيبة جدو..

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

(تمت بحمد الله وتوفيقه) ∞ ∞ ∞ ∞ ∞

فريق
متميزون
E-BOOK

Group Link – لينك الانضمام الى الجروب

Link – لينك القنـــــاة

الفهرس..

ميتافيزيقا..
البداية..
زيـارة..
وأخذ يفكر..
فـرج الفتـوة..
ليـلة عجـن..
«أنا بقيت عامل دماغ»
السيد جاد الله...
هيثم السلحدار...
اكتشاف صغير..
مصيبة أخرى..
أخبـار لا تسر..
الخـاتمـة
٢- الدمية ماندي
البـدايـة..
كولومبيا بريتش ...
2
مصر من جديد ....
4
5
6
بداية المتاعب..
8
9
10
أميـمـــة..
جريمـة أخـرى..

فى بيتى..
الخـاتمـة